محمّد بن عبد الملك الزيّات شاعرا

(173 هـ – 233 هـ)

إعداد

الدكتور / فتحي علي علي عبده

إصدار أكتوبر لسنة 2021 م

شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

ملخص البحث

يتناول البحث محمد بن عبد الملك الزيات ت 233 هـ بوصفه شاعرا لا كاتبا ، وقد نظر إلى شعره من خلال محاور ثلاثة متكاملة ، هي : بيئته المترفة ومكانته الاجتماعية ، ووعيه الثقافي وبراعته في فن النثر وامتلاكه لناصية البلاغة ، وبصره بجوهر الشعر وخصائصه الفنية ، وقد عُني الباحث برصد موضوعات شعره وخصائصه الفنية .

أما ما يتعلق بموضوعات شعره ، فلقد تبين للباحث عناية الشاعر بالموضوعات الذاتية التي تعبر عن وجدانه ، ولذا احتل الغزل المرتبة الأولى في شعره ، وأن فن المدح لم يكن إلا في بدايات حياته ،كما تبين له أن الشاعر حرص على التجديد في فنون الشعر المختلفة كالغزل والرثاء والهجاء ، كما أثرى الشعر العربي بالموضوعات النثرية التي تمثلت شعرا فيما يطلق عليه الشعر الإخواني .

وأما ما يتعلق بالخصائص الفنية لشعره ، فلقد تبين للباحث أن ابن الزيات ، وإن اهتم بالبناء التقليدي للقصيدة في بداية حياته ، قد استطاع أن يساير التطور في بناء القصيدة بكثرة المقطوعات الشعرية مقارنة بالقصائد ، والحرص على توفير الوحدة العضوية لها ، كما كان حريصا على أن تكون لغته سهلة موحية قادرة على التعبير عن موضوعات شعره المختلفة ، وأن تبرز في الوقت نفسه تمكنه من اللغة وثقافته ، كما كان حريصا على أن يوفر لشعره القيم الموسيقية من حيث الاكثار من النظم على البحور الشعرية الطويلة أو مجزوءات البحور ، والعناية بالموسيقى الداخلية لشعره واستخدام القوافي السهلة ، كما عبرت صوره الفنية عن قدرته في رسم الصور باللغة أو بالاستعارات والتشبيهات ، وأن تكون هذه الصور – في الغالب – موحية معبرة عن ذاته ووجدانه .

مقدمة

يحاول هذا البحث إلقاء بعض الضوء على محمد بن عبد الملك الزيات ت 233 هـ بوصفه شاعرا لا كاتبا ، وقد قدمنا يين يدي البحث تعريفا عنه ، بينَّا فيه نشأته وثقافته وحياته الاجتماعية والسياسية والأدبية ، وحاولنا رفع ما ناله من غبن في صفاته الإنسانية .

وقد حاول الباحث أن ينظر إلى شعر ابن الزيات من خلال يمكن أن ننظر إلى شعر ابن الزيات من خلال محاور ثلاثة :

أما المحور الأول ، فيتمثل في بيئته المترفة ومكانته الاجتماعية .

أما المحور الثاني ، فيتمثل في وعيه الثقافي وبراعته في فن النثر وامتلاكه لناصية البلاغة .

أما المحور الثالث ، فيتمثل في بصره بجوهر الشعر وخصائصه الفنية .

وبرغم ما قد يبدو على هذه المحاور من تناقض وتنافر ، إلا أنها مجتمعة تشكل ما يمكن أن يكون رؤية متكاملة ينظر من خلالها إلى شعر ابن الزيات ، فلكل محور من هذه المحاور انعكاساته التي تظهر ملامحها على موضوعات شعره وخصائصه الفنية، ولكن لا يصلح أي محور بمفرده للنظر من خلاله إلى شعره .

وقد قسمنا البحث قسمين ، تناول الأول منها الموضوعات الشعرية من التغزل ، والهجاء ، والرثاء ، والمدح ، وشعر اللهو والمجون ووصف الخمر ، والتعبير عن الذات ، والزهد ، والحكمة ، كما تناولنا الموضوعات النثرية التي نقلها من دائرة النثر الفني إلى دائرة الشعر . وأما القسم الثاني ، فقد تناول الخصائص الفنية لشعره ، ممثلة في البناء الفني للقصيدة ، واللغة والأسلوب ، والأوزان والموسيقى ، والصورة الفنية .

وقد اعتمد الباحث على كثير من المصادر والمراجع القديمة والحديثة للتعريف بالشاعر ورصد موضوعات الشعر وخصائصه الفنية ، وقد أثبتنا ذلك في نهاية البحث .

والله أسأل أن يوفق ويعين

تمهيد

تعريف بمحمد بن عبد الملك الزيات (173 هـ – 233 هـ)

هو أبو جعفر محمد بن عبدالملك بن أبان بن أبي حمزة المعروف بابن الزيات. وكان أبان رجلاً من أهل جبل من قرية كان يقال لها الدسكرة يجلب الزيت من مواضعه إلى العراق[1] ، وكان أبوه من وجوه تجار الكرخ ببغداد ومياسيرهم[2] ، في أيام المأمون[3] ، ولد محمد سنة ثلاث وسبعين ومائة[4] ، وقتله المتوكل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين[5].

وكان محمد ذا نفس طموح ، تتطلع إلى ما هو أعلى شأنًا ، وأرفع منزلة ، «فأبى إلا الكتابة ، وطلبها ، وقصد المعالي حتى بلغ منها أن وزر ثلاث دفعات ، وهو أول من ولي ذلك وتم له»[6].

واستطاع ابن الزيات أن يأخذ من كل علم بطرف ، فتثقف بالثقافة الإسلامية : من معرفة بالقرآن والأحاديث والفقه ، والفرائض ، وتثقف بالثقافة العربية : من حفظ الشعر وروايته ، ومعرفة علم النحو والتصريف ، وأيام العرب ، وتثقف بالثقافة الأجنبية كوقوفه على أمثال الفرس وفلسفة اليونان [7].

---

(1) تاريخ بغداد : 342/2. وفيات الأعيان : 94/5. الأغاني : 9163/27.
(2) معجم الشعراء للمرزباني : 365.
(3) الفخري في الآداب السلطانية : 208.
(4) الأعلام للزركلي : 126/7.
(5) معجم الشعراء : 365. الفهرست: 177. الفخري: 209. تاريخ الطبري: 156/9. مروج الذهب: 88/4. دول الإسلام للذهبي: 142/1. النجوم الزاهرة : 271/2. خزانة الأدب للبغدادي: 451/1. مرآة الجنان: 111/2.
(6) الأغاني : 9163/27.
(7) انظر رده على هجاء علي بن جبلة في معجم الأدباء : 99/98/1. ووردت بالديوان ص : 29 ، 30 ببعض الاختلاف ، وأشار إليها صاحب الأغاني : 27/ 9185 – 9186. إذ يعرض ما يتمتع به من ثقافات ، وانظر عن ذلك : تاريخ بغداد : 342/2. وفيات الأعيان : 94/5. خزانة الأدب البغدادي : 449/1. وراجع نزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري : 36 ، 114.

ولقد جمع ابن الزيات إلى الكتابة الشعر وكان بليغًا وشاعرًا مجيدًا [8] ، و «لا يقاس به أحد من الكتاب ، يطيل فيجيد ، ويأتي بالقصار فيجيد. وكان بليغًا حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب»[9] ، وذكر ابن النديم أن له «ديوان رسائل جيد»[10] ، وأن له خمسين ورقة شعرًا[11]، ووصف ابن خلكان أشعاره فقال : « له أشعار رائقة »[12] ، و «شعره كله نخب»[13] ووصف ابن رشيق شعره الغزلي بأنه «في غاية العذوبة»[14]،ويحلل إبراهيم بن المدبر الأسس التي قامت عليها بلاغة ابن الزيات فيقول:«كان محمد من ألطف الناس ذهنًا،وأرقهم طبعًا،وأصدقهم حسًا،وأرشقهم قلمًا،وأملحهم إشارة،إذا قال أصاب،وإذا كتب أبلغ،وإذا شعر حسن،وإذا اختصر أغنى عن الإطالة»[15]،ويشيد البحتري ببلاغته فيقول مادحًا إياه [16]:

قد تصرفت في الكتابة حتى عطل الناس فن عبدالحميد

في نظام من البلاغة ما شكك امرؤ أنه نظام فريد

ومعان لو فصلتها القوافي هجنت شعر جروني ولبيد

حزن مستعمل الكلام احتيارا وتجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ القريب فأدركن به غاية المراد البعيد

---

(8) ذكر المرزباني في معجم الشعراء : 365 أن ابن الزيات كان أديبًا شاعرًا ، ولم يكن له حظ في الكتابة ، ولا شك أنه يختلف في ذلك مع كل المصادر التي ذكرت أنه جمع بين الشعر والكتابة ، وأن الكتابة كانت سبيله إلى تولي كرسي الوزارة. بل لقد ذكره ابن عبدربه فيمن نبل بالكتابة وكان قبل خاملاً ، راجع العقد الفريد : 170/4، وانظر مروج الذهب : 88/4.

(9) الأغاني : 9165/27 وراجع الأوراق أخبار الشعراء المحدثين : 206.

(10) الفهرست : 177 وفيات الأعيان : 97/5.

(11) الفهرست : 236.

(12) وفيات الأعيان : 95/5.

(13) وفيات الأعيان : 102/5.

(14) العمدة لابن رشيق : 107/2.

(15) الرسالة العذراء لابن المدبر : 44/43.

(16) تاريخ بغداد : 342/2 ، العقد الفريد : 203/4 وراجع ديوان البحتري بتحقيق الصيرفي ط2 جـ 1 قصيدة رقم 259 ص 636 ، 637.

لقد أصبح ابن الزيات:«واحدًا في صناعته مفردًا في براعته»[17]، وكان ذكيًا «فبرع في كل شيء ، حتى صار نادرة وقته عقلاً وفهمًا وذكاءً ، وكتابة وشعرًا وأدبًا، وخبرة بآداب الرياسة ، وقواعد الملك ... ونهض بأعباء الوزارة نهوضًا لم يكن لمن تقدمه من أضرابه»[18].

وكان نتيجة ذلك أن صار مرصدًا لعيون حساده ، فها هو القاضي أحمد بن أبي دؤاد يعاديه ، ويؤلب عليه الشعراء ، وما زال يوغر صدر الواثق عليه حتى هم بالفتك به لولا ما استبان له من خلو البلاد من نظير له . ثم أخذ يكيد له بعد ذلك عند المتوكل حتى نكبه [19] .

ولقد أدت حملة الحقد هذه إلى تشويه صورة ابن الزيات. وتكاد تجمع المصادر التاريخية والأدبية على أنه اتخذ تنورًا من حديد يعذب فيه من أراد تعذيبه ، وأنه كان يقول إذا استرحمه أحد : الرحمة خَور في الطبيعة وضعف في المُنَّة ، وأنه كان جبارًا متكبرًا فظًا غليظ القلب مغرورًا متعاليًا حسودًا ، وأنه من ألأم الناس[20] ، ويروي الطبري عن ابنيه أنهما قالا بعد موته : «الحمدلله الذي أراح من هذا الفاسق»[21] ، ويذكر ابن عبدربه أنه كان «يأنس بأهل البلادة ويستوحش من أهل الذكاء»[22].

ولو رجع الباحث إلى هذه الصفات بنظر الفاحص ، لتحرز في قبولها ، ولأمكن إرجاعها إلى حملة الحقد الأعمى على رجل مرموق ، وزر لثلاثة من خلفاء بني العباس الأمر الذي لم يتحقق لأحد قبله ، فما ذهبوا إليه من أنه اتخذ تنورًا من حديد يعذب فيه من أراد تعذيبه ، وأنه كان يقول إن الرحمة خَور في الطبيعة وضعف في المنة – خبر مبالغ فيه ، إذ يشير المؤرخون أنفسهم إلى أنه إنما اتخذه لكي يعذب فيه

---

(17) جمع الجواهر للحصري : 301.
(18) الفخري في الآداب السلطانية : 208.
(19) راجع الأغاني : 23/7961 – 7964 ، 24/9177 ، ووفيات الأعيان : 5/98/99 /100 ، و إعتاب الكتاب : 136 – 138.
(20) انظر : مروج الذهب : 4/88 تاريخ بغداد : 2/343 المحاسن والمساوئ للبيهقي : 532 ، الأغاني : 27/ 9200 وفيات الأعيان : 5/ 100 خزانة الأدب : 1/450/451 ، الفخري : 208 ، الأغاني : 27/ 9176 ، 27/ 9196. جمع الجواهر : 300.
(21) تاريخ الطبري : 9/160.
(22) العقد الفريد : 3/213 . وراجع أدب الكتاب للصولي : 159/ 160.

المصادَرين ، وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال[23]. ومعنى هذا أنه إنما يعذب من خرج على القانون ، بل إننا نرى المصادر تروي عن سليمان بن وهب – وهو أحد الذي وقعوا تحت تعذيب ابن الزيات – أنه قال : « لما نكبني الواثق قال لمحمد بن عبدالملك الزيات : عذّب سليمان ، وضيق عليه ، وصادره ، وطالبه بالأموال. قال سليمان : فألبسني جبة صوف ، وقيدني ، وضيق علي ، وكان يحضرني في دار الوثائق ، فيخاطبني أغلظ مخاطبة ، ويهددني ويعاملني أقبح معاملة وأشنعها ، ويكتب المخبرون بذلك إلى الواثق ، فيعجبه ، فإذا كان الليل أمر محمد بن عبدالملك بنزع قيودي ، وتغيير ثيابي ، ويطرح لي مصلى ، ويأنس بي ويأكل معي ، ويشاورني في أموره ، يفضي إلي بأسراره ، فإذا كان وقت انصرافي عنه ، ضرب بيده على كتفي وقال : يا أبا أيوب ، هذا حق المودة ، وذاك حق السلطان ، لا تنكر هذا ، ولا تنكر ذاك ، فأشكر له على فعله ، فإذا كان في غد عدنا إلى ما كنا عليه ، كأنما تفارقنا»[24].

«وذاك حق السلطان»:إنها الإطار الذي تصدر عنه ما يصفه المؤرخون بأنه قسوة وغلظ قلب، إنه ينفذ ما يوجبه عليه وضعه الوظيفي بوصفه وزيرا ومسئولا عن تنفيذ القوانين،فكيف نزعم إذن أنه خلو من الرحمة،يعتبرها ضعفًا ونقصًا يجب أن يتبرأ الإنسان منه،ويذهب الأستاذ محمد كرد علي إلى أن هذا القول قد نُسب إليه ليطعنوا به على دينه وينالوا منه عند العامة والخاصة [25].

أما ما وصفوه به من أنه كان يأنس بأهل البلادة ويستوحش من أهل الذكاء ، فلقد أشاد المؤرخون أنفسهم بذكائه وفضله وعلمه ، فما كان مثله ليستوحش من مجالسة أهل الذكاء والفطنة والفضل ، ولما وجدنا في حياته أشخاصًا ، هم وجوه مجتمعة ، وممن عرف عنهم الذكاء والفضل ، كأبي تمام[26] ، والبحتري[27] ، وعبد الله بن طاهر[28] ، والحسن بن وهب[29] ، وسليمان بن وهب[30] .

---

(23) وفيات الأعيان : 100/5.
(24) المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخي : 85 ، قطب السرور للرقيق النديم : 53 ، 54.
(25) انظر أمراء البيان : 285/1.
(26) أخبار أبي تمام للصولي : 118–120 ، ديوان المعاني : 78/2 ، 79 ، زهر الآداب للحصري : 76/1 ، 337 ، 433.
(27) العقد الفريد : 203/4 ، وفيات الأعيان : 97/5 ، تاريخ بغداد : 342/2.
(28) العقد الفريد : 182/4 ، الأغاني : 9172/27 ، 9173.

أما ما ذهبوا إليه من وصفه بالغرور والتعالي واللؤم والحسد ، فهي قصص لحالات فردية ، ولا يمكن أن نأخذها بمبدأ التعميم[31] ، ومن ثم لا تصبح وصفًا ملازمًا للرجل ، وإلا لما أجمعت الكثير من المصادر على أنه كان فاضلاً نبيلاً [32]،وجوادًا ممدحًا[33]، وأنه من أهل الأدب الظاهر والفضل الباهر[34].

وأما ما رواه الطبري عن ابنيه ، فإن صح هذا ، فلاشك أنه قيل تحت ضغط وإكراه ، ويكفي للتدليل على صحة هذا أن الطبري نفسه يروي أنهما سجنا عندما سجن ابن الزيات[35]. ومعنى ذلك أنهما ذاقا مرارة الحبس ، ورأيا ما فُعل بأبيهما ، ومن ثم ، فإنهما لا يجرؤان على ذكر محامده ومآثره ، في ظل موجة السخط والتنكر له.

إن الحقد الأعمى هو العامل الأساسي في تشويه صورة ابن الزيات ، ومما يؤيد ذلك ما ذكر عن قصة نكبته ، وندم المتوكل على ذلك ، يقول ابن خلكان «لما مات الواثق بالله أخو المتوكل ، وقام في ذلك وقعد ، حتى عممه بيده ، وألبسه البردة ، وقبل بين عينيه ، وكان المتوكل في أيام الواثق يدخل على الوزير المذكور فيتجهمه ويغلظ عليه في الكلام ، وكان يتقرب بذلك إلى قلب الواثق ، فحقد المتوكل ذلك عليه ، فلما ولي الخلافة ، خشي إن نكبه عاجلاً أن يستر أمواله فيفوته ، فاستوزره ليطمئن ، وجعل

---

(29) الأغاني : 9188/27 – 9193 ، أخبار أبي تمام : 196–199 ، العقد الفريد لابن عبدربه : 400/6 – 402 ، أدب الكتاب للصولي : 49.

(30) المستجاد من فعلات الأجواد : 85.

(31) ينفي الدكتور طه الحاجري صفات الغرور والحذلقة والتكلف عن ابن الزيات ويرجع اضطراب علاقاته بأصحابه إلى مزاجه الذي يصفه بأنه «حاد غاية الحدة ، مسرف في الحس ، مفرط في التقدير، يرضي فيصل من الرضا إلى أقصاه ، حتى يبلغ به حد الهوى ، ويسخط فينتهي به السخط إلى أبعد غاياته ، حتى يبلغ به حد الحقد والحفيظة ، لا يروي ، ولا يتمهل ، ولا يراجع نفسه ، ولا يتوقف في حالة من حالات النفس ، وإنما هو مندفع مع أحاسيسه المرهفة وشعوراته العنيفة ، يستطيره الفرح ويستخفه السرور ، ويطيش به الغيظ، ويخرق به الألم ، ويستسلم للملالة وينزع إلى الاستطراف .. ومثل هذا المزاج لا يسلم عليه أحد». راجع الجاحظ حياته وآثاره : 266 – 267.

(32) وفيات الأعيان : 101/5.

(33) النجوم الزاهرة : 272/2.

(34) وفيات الأعيان : 94/5.

(35) تاريخ الطبري : 160/9.

القاضي أحمد يغريه ، ويجد لذلك عنده موقعًا ، فلما قبض عليه ومات في التنور ، لم يجد من جميع أملاكه وضياعه وذخائره إلا ما كانت قيمته مائة ألف دينار، فندم على ذلك ، ولم يجد عنه عوضًا ، وقال للقاضي أحمد : أطمعتني في باطل وحملتني على شخص لم أجد عنه عوضًا»[36].

وبعد ، فعلى الرغم من كل ما قيل حول ابن الزيات ، إلا أنه لا يستطيع أن يحجب حقيقة اعترف بها أعداؤه ، وهي أنه استطاع وحده ، بعلمه وثقافته أن يؤسس لنفسه مجدًا أدبيًا شامخًا ، ولقد صدق البحتري في قوله[37] :

وأرى الخلـــق مجمعـــين علـــى فضـــلك مـــــن بـــــين ســــــيد ومســــــود

عـــــرف العـــــالمون بفضـــــلك بالعلـــــم وقـــــــال الجهـــــــال بالتقليـــــــد

موضوعات شعر محمد بن عبد الملك الزيات

يمكن أن ننظر إلى شعر ابن الزيات من خلال محاور ثلاثة :

أما المحور الأول ، فيتمثل في بيئته المترفة ومكانته الاجتماعية ، ولقد أدى هذا إلى اختلاف دوافع قول الشعر لديه عن تلك الدوافع التي تدفع الشعراء المحترفين. وبمعنى آخر ، فإن التكسب لم يكن الهدف الأول من قول الشعر عنده .

أما المحور الثاني ، فيتمثل في وعيه الثقافي وبراعته في فن النثر وامتلاكه لناصية البلاغة ، فلقد انعكست آثار ثقافته والميل إلى النزعة النثرية على موضوعات شعره وخصائصه الفنية .

أما المحور الثالث ، فيتمثل في بصره بجوهر الشعر وخصائصه الفنية،وقد انعكس ذلك في غلبة الطبع والبعد عن التكلف،والقدرة على اختيار الألفاظ العذبة السهلة ، وانتخاب المعاني الجيدة الحسنة ، والتأثر بالطريقة المألوفة للصياغة التعبيرية في الشعر العربي .[38].

---

(36) وفيات الأعيان : 5/99 ، 100.

(37) ديوان البحتري بتحقيق حسن كامل الصيرفي ط 2 نشر دار المعارف ، القصيدة رقم (259) الجزء الأول ، ص 638.

ويمكننا من خلال هذه المحاور تناول موضوعات شعر ابن الزيات في محورين : أولا : الموضوعات الشعرية كالغزل والهجاء والرثاء ... ، وثانيا : الموضوعات النثرية التي نقلت من بيئة الكتابة إلى الشعر .

ثم نعرض لأهم الخصائص الفنية لهذا الشعر متمثلة في عدة نقاط : أولا : البناء الفني للقصيدة ، وثانيا : اللغة والأسلوب ، وثالثا : الموسيقى والأوزان ، ورابعا : الصورة الفنية .

أولا : الموضوعات الشعرية

(1) التغزل

ظهر عند ابن الزيات نوعان من التغزل هما: التغزل المعنوي ، وهذا النوع هو الغالب على شعره ، والنوع الثاني هو التغزل الحسي ، وهو قليل إذا قيس بالنوع الأول . أما النوع الأول : وهو التغزل المعنوي ، فيدور حول وصف تمكن الشوق واللوعة من نفس المحب، ووصف أثر الهجر على نفسه ، وما يصيبه من الأرق والسهد والحزن والسقم والتحول، ووصف مشهد الفراق ولوم العذال ، وترصد الرقباء ، ومما يمثل ذلك قوله يصف حالته ، وقد استولى عليه الحب والوجد ، فترقرق طرفه بالدم بعد الدموع ، ذاكر أنه اختص وحده بتسعة أعشار الهوى ، بينما اشترك جميع أهل الهوى في العشر الباقي ، يقول[39] :

طـــــرف ترقـــــرق بالـــــدم ... بعـــــد الـــــدموع الســـــجم

الله يعلـــــــــم أنـــــــــني ... أهـــــوى وصـــــالك فـــــاعلمي

قســـــم الهـــــوى بـــــين العبـــــاد ... فليتـــــــــه لم يقســـــــــم

ســـــهم علـــــى أهـــــل الهـــــوى ... وعلـــــى تســـــعة أســـــهم

---

(38) انظر البيان والتبيين : 24/4 ، والموازنة : ج4/1 ، ورسالة الكشف عن مساوئ المتنبي للصاحب بن عباد (ضمن كتاب الإبانة عن سرقات المتنبي : 244/243 ، والعمدة : 105/2 ، و راجع عن الصياغة التعبيرية للشعر العربي القديم الوساطة للجرجاني : 33 – 34 ، الموازنة للآمدي : 423/1 مقدمة المرزوقي لشرح ديوان الحماسة : 9– 12.

(39) الديوان ص : 62.

ويجري حوارًا طريفًا بين قلبه وسمعه وعينه باحثًا عن أيهم السبب في الحب ، جاعلاً من نفسه حكمًا بينهم ، فيقول[40] :

دعـــا شـــجوي دمـــوع العـــين مـــني ... فبـــادرت الـــدموع علـــى ثيـــابي

وقـــال القلـــب : سمعـــك ســـاق حتفـــي ... علـــى عمـــد وأغـــرق عـــذابي

فقالـــت : سمعـــك الجـــاني هلاكـــي ... بأغلـــظ مـــا يكـــون مـــن العقـــاب

ولا تغفـــــل فتفقـــــدني فـــــأبقى ... بـــــلا قلـــــب إلى يـــــوم الحســـــاب

فـــإني بـــين أطيـــاف المنـــايا ... مقـــيم بـــين أظفـــار وناب

فقـــال الســـمع – حـــين عتبـــت – لُمـــه ... علـــى حـــب الخدلجـــة الكعـــاب

وعيـــت كـــلام مكتحـــل غريـــر ... فأعيـــاني لـــه رجـــع الجـــواب

فأديـــت الكـــلام – ولم أجيـــه ... إلى القلـــب المولـــع بالتصـــابي

فعاقـــب قلبـــك اللجـــاج فيـــه ... ودعـــني لا تنطـــع في عقـــابي

فقلـــت : صـــدقتني وعـــذلت قلـــبي ... ولم أحمـــل علـــى عيـــني عتـــابي

فقـــال القلـــب ، ثم أقرهـــا قـــد ... عشـــقت أمـــيرة تهـــوى اجتنـــابي

تصـــبر قـــد ســـقيتك كـــأس عشـــق ... حمياهـــا تجـــول علـــى الحجـــاب

تنغصـــك الطعـــام وكـــل عـــيش ... وتمـــزج مـــا يســـؤك بالشـــراب

فقلـــت لـــه : قطعـــت الصـــلب مـــني ... وقـــد ألصـــقت خـــدي بالـــتراب

لعلـــك قـــد كلفـــت بحـــب قصـــف ... فقـــال القلـــب : قـــد قرطســـت مـــابي

فقلـــت قتلتـــني وأذبـــت جســـمي ... وقـــد آذنـــت روحـــي بالـــذهاب

كـــأني عـــن قليـــل غـــير شـــك ... مُســـجى بـــين أصـــحابي لمـــا بي

---

(40) الديوان ص 10 – 11.

كما يربط بين فراق الحبيب وبين الغربة النفسية التي يشعر بها المحب نتيجة هذا الفراق ، فيقول [41] :

بعد القريب وأعوز المطلوب ... وعدتك عنه حوادث وخطوب

ومنيت من بعد الحبيب بعاذل ... يلحي ويعجب أن يحن كئيب

قالوا : أساء حبيبه فأجبتهم ... إن الحبيب وإن أساء حبيب

إن المحب وإن أقام بأهله ... ما لم يكن فيمن يحب غريب

أما النوع الثاني من التغزل ،فهو النوع الحسي الذي يصف أجزاء من جسم المحبوبة ، ويلاحظ على هذا النوع عند ابن الزيات أنه يبعد عن الفحش ، ولا تتعدى رغبته حدود الرغبة في التمتع برضاب المحبوبة وثناياها العذاب. ومما يصور ذلك قوله [42] :

سقامي في تقلب مقلتيكا ... ويرثي في رضاب ثنيتيكا

وحسن محاسن الدنيا جميعًا ... يلوح لناظري في وجنتيكا

إذا عذبتني فجعلت حظي ... بأني قد أموت فما عليكا

ودعني لا يهمك ما بجسمي ... ولا أشكو الهوى أبدًا إليكا

ومما يلاحظ على أسلوب التغزل عند ابن الزيات أنه يتميز بالرقة والسهولة والاقتراب من لغة الحياة اليومية ، وقلما يلجأ إلى الأسلوب التقليدي الذي يشيع في مقدمات القصائد التقليدية ، وقد ساعد على ذلك كثرة المقطوعات وقلة المقدمات الطللية والغزلية في أشعاره .

(2) الهجاء

اعتمد فن الهجاء عند ابن الزيات – في الغالب – على أسلوب السخرية ، ولذا ظهر عنده ما يمكن أن نصفه بالهجاء الساخر الذي يعتمد على الرسم الكاريكاتيري المجسم للعيوب الخِلقية للمهجو ،

---

(41) الديوان ص 8 – 9.

(42) الديوان ص : 54.

ومن هذا اللون ما نجده عنده من صور كاريكاتيرية يصور فيها ضخامة أنف عيسى بن زينب.

ويبدع ابن الزيات في تشكيل هذه الصور،فتارة يجعل عيسى غلامًا ويجعل أنفه رجلاً،ومن ثم يتوجه بالخطاب إلى هذا الأنف لأنه يجهل صاحبه الذي يسأل عنه،فيقال له:إنه فتى غاب في أنفه،فيتعجب من هذا القول الذي لم يطرق سمع أحمد من قيل أو رأي مثله بشر،فينادي القوم ليخرجوه من هذا الأنف،ثم يتوجه لأهله ناصحًا أن يربطوه من وسطه بحبل ليتمكنوا من إخراجه من أنفه إذا وقع فيه يومًا.يقول[43] :

تَرَكْتُ عِيسَى فَمَا عِنْدي مُخاطَبَةٌ ... لَهُ وَخاطَبْتُ أَنْفًا طَالَ وَارْتَفعا

تركت عيسى فما عندي مخاطبة ... له وخاطبت أنفًا طال وارتفعا

عيسى غلام ولكن أنفه رجل ... والقرن يحسن منه كل ما صنعا

رأيت أنفًا ولم أعلم بصاحبه ... فقلت من صاحب الأنف الذي طلعا

قالوا فتى غاب فيه قلت واعجبي ... ما أن رأى مثل ذا راء ولا سمعا

يا ويلكم أخرجوه قال ناطقهم ... هيهات ما أن نرى في نيله طمعا

الجب أبعد غورًا حين تطلبه ... من أن تنال حبال القوم من ضرعا

فلو تراني على أنف أنوع به ... على فتى زل خيشومه قطعا

بينا كذلك إذ جالت غواربه ... بمخطة فإذا عيسون قد رجعا

فقلت : خير فقد عاينت ما رجعت ... عنه العيون وقد أبصرت منتجعًا

فقال : ما زلت في ليل وفي لثق ... وفي أمور أفاقتني الردى جُرعا

فقلت : يا أهل عيسى إنني رجل ... أبدي النصيحة إني مُشبع ورعا

لا يبرحن لكم حبل يُشد به ... وسط الغلام قريبًا كان أو شسعا

لتجذبوه به من جوف منخره ... فتخرجوه به يومًا إذا وقعا

---

(43) الديوان ص 43.

إن ابن الزيات في هذه الأبيات يقـدم لنا قصة كاريكاتيرية تعتمد على تجسيم ضخـامة أنف عيسى،ولذا،فهو يبدأ القصة بالبحث عن صاحب الأنف الذي طال وارتفع،فإذا به يفاجأ بأنه أنف عيسى،ذلك الرجل المسكين الذي صار كالغلام إذا قورن بهذا الأنف الضخم،ولذا،فإنه من الطبيعي أن تتكشف المفاجاة عن انزلاق عيسي في أنفه الذي أصبح كأنه الجب البعيد الغور .

وهنا يتوجه الشاعر إلى أهل عيسى ببذل كل المحاولات لإخراجه ، ويتلقى الجواب بعدم إمكانية ذلك لعدم وجود حبال تستطيع أن تصل إلى أعماق هذا الجب / الأنف ، وهنا يتعقد الأمر ، ويأخذ الشاعر في النواح والبكاء على هذا الفقيد المسكين ، ثم تبدأ الأزمة في الانفراج ، فإذا بعطسة قوية تدفع عيسى خارج الجب ، وهنا يرثي الشاعر لحال المسكين بينما يبتعد الناس من آثار هذه العطسة ، ويأخذ عيسى في قص ما حدث له في هذا الأنف الضخم مما يضاعف من حدة الإشفاق عليه .

ولذا يختم الشاعر هذه القصة بتوجيه نصيحة إلى أهل عيسى تجنبه الانزلاق مرة أخرى في أنفه ؛ لأنه قد يلقى حتفه ذات مرة ، وهذه النصيحة تأخذ صورة الجد ؛ لأنها تصدر عن رجل وصف نفسه بالإخلاص والورع ، إنه يريد منهم أن يربطوه من وسطه بحبل ، ويجعلوا طرفه بأيديهم ليجذبوه منه إذا وقع أو كاد في هذا الجب .

إنها قصة طريفة تدل على مقدرة فنية عالية ، فالشاعر لم يكتف بتصوير عابر لهذا العيب الخِلْقي ، ولكنه صنع قصة ذات بداية ووسط ونهاية ، وبالرغم من غرابة القصة كما عبر عنها قوله : (واعجبى ما إن رأى مثل ذا راء ولا سمعا) ، فإنه أراد أن يصبغ عليها صبغة الواقع ، فاستعان بالحوار المجسد للأشخاص والمبين عن مشاعرهم النفسية ، وجعل من نفسه ناصحا أمينا مشبعا بالورع والإخلاص ، مما يجعله بعيدا عن الهزل ، لقد أراد أن يقنعنا بصدق هذه القصة وواقعيتها لتحقيق أكبر قدر من الإمتاع .

وتارة يصور كبر أنفه فيجعله يبلغ أربعة أضعاف حجم عيسى نفسه،ويرسم صورة عيسى ، وقد نام ، فالتصق هذا الأنف بالسقف حتى أخربه بحرفه ، ويرسم صورة أخرى لضخامته ، فيرى أن عيسى يستطيع أن يستنشق به ثورًا ضخمًا ، وأن هذا الأنف يتسع لنصف الخلق ، ويرسم صورة ثالثة لعيسى ،

وقد ركب في السرج ومال قليلاً من شدة التيه ، فيظن من يراه أن أنفه هو الذي أعطى السرج بينما عيسى يردفه . يقول[44]:

قـــــل لعيســـــى أنـــــف أنفـــــه أنفـــــــه ضـــــــعف لضـــــــعفه

لم يـــــــنم مـــــــذ كـــــــان إلا ألصـــــــق الأنـــــــف بســـــــقفه

فـــــترى الســـــقف وقـــــد أخـــــ ـــــــر بـــــــه منـــــــه بحرفـــــــه

إن مـــــــن عـــــــاداك يا عيـــــــ ـــــــى لمقـــــــرون بحتفـــــــه

أنـــــت لـــــو تستنشـــــق الثـــــو ر بقرنيـــــــــــه وظلعيـــــــــــه

لهـــــــوى في منخـــــــر يســـــــ ـــــــتغرق الخلـــــــق بنصـــــــفه

لـــــو تـــــراه راكبًـــــا والتـــــ (م) ـــــــيه قـــــد مـــــال بعطفـــــه

لرأيـــــــت الأنـــــــف في الســـــــ ج وعيســـــــــــى ردف أنفـــــــــه

(3) الرثـــاء

تعددت موضوعات الرثاء في شعر ابن الزيات ، ويمكننا أن نلمح مظاهر التجديد في هذا الفن عنده من خلال رثاء زوجه ، وهذا النوع من الشعر قليل في الشعر العربي ، ورثاء المدن ، ورثاء الحيوان .

يقول في رثاء أم ولده[45] :

ألا مَنْ رأى الطّفلَ المفارِقَ أمَّه بُعَيْدَ الكَرَى عيناه تَنْسبكانِ

رأى كلَّ أمٍّ وابنَها غيْرَ أمّه يبيتان تحت الليل ينتجيان

وبات وحيدًا في الفراش تَخُثُّه بلابلُ قلبٍ دائمِ الخفقان

ألا إن سَجْلا واحدًا إنْ هرقتُه من الدمع أو سَجلَيْن قد شفياني

فلا تَلْحياني إنْ بكيتُ فإنما أداوي بهذا الدمعِ ما تريان

---

(44) الديوان ص : 88.

(45) الديوان ص 67 / 68.

فهبني عزمتُ الصَّبْر عنها لأنني جليدٌ فمنْ بالصَّبْر لابن ثمان
ضعيفِ القوى لا يطلبُ الأجرَ حِسْبَةً ولا يأْتسي بالناس في الحَدثان
ألا مَنْ أُمنّيه المُنى وأعدُّه لعَثْرة أيامي وصَرْفِ زماني
ألا مَنْ إذا ما جِئتُ أكرمَ مَجْلسي وإنْ غبتُ عنه حاطني وكفاني
فلم أر كالأقدار كيف تصيبني ولا مثلَ هذا الدّهرِ كيف رماني
ولا مثلَ أيامٍ فُجعتُ بعهدها ولا مثلَ يومٍ بعد ذاك دهاني
أعينيَّ إنْ لم تُسْعدا اليومَ عَبْرتي فبئسَ إذنْ ما في غَدٍ تَعِداني
أعينيَّ إنْ أنْعَ السّرورَ وأهلَه وعهدَ الرّضَى عندي فقد نَعَياني
أعينيَّ إنْ أبكِ البَشاشةَ والصِّبا فقدْ أَذَنا منّي وقدْ بكياني
ألا إنَّ مَيْتًا لم أَزُرْهُ لَشَدَّ ما تَلَبَّسَ مِنْ قلبي به وعَناني
ألا إنَّ مَيْتًا لم أَزُرْهُ لَعَزَّ ما تضمَّنَ منه في الثَّرى الكَفَنان

إن ابن الزيات يعزف على وتر المشاعر الإنسانية ، فيصور أثر المصيبة من خلال انعكاساتها على طفله ، فقد تستطيع العبرات أن تشفي حزنه وتزيل همه لأنه يستطيع أن يصبر حسبة للأجر ، ولكن هل يستطيع طفل صغير ابن ثماني سنوات أن يفعل مثله ، وهو يرى الأطفال ، وقد احتضنتهم أمهاتهم تناجيهم وتداعبهم بينما هو يبيت وحيدًا ، ينسكب دمعه حزنًا ، وينتحب قلبه حسرة ؟ ، أفيستطيع إذن أن يسلو ويصبر ، وهو يرى أمامه صورة ذلك الطفل الذي كاد الحزن يقضي عليه ، فيقضي على أمله الذي كان يعده لعثرات الزمان ونوائب الحدثان ؟. إن الأقدار تتربص به من كل جانب ، فلقد ذهبت البشاشة والسعادة والصبا بموت زوجه .

في هذه القصيدة ثلاثة أطراف : الأول هو الأم المتوفاة ، والثاني هو الابن الوليد الذي لم يجاوز عمره ثمانية أعوام ، والثالث هو الوالد أو الشاعر ، ويتعامل الشاعر مع هذه الأطراف في القصيدة ، فهو يُبدي مشاعره تجاه زوجته المتوفاة ، ويُبدي مشاعره تجاه ابنه اليتيم ، ويُبدي مشاعر ابنه تجاه فقد أمه .

إن الشعور بالحزن في هذه القصيدة شعور مركب ، فالزوجة المتوفاة قَدْ هَزَّ رحيلها مشاعره زوجها المحب الذي أنِسَ بها ، وعاش معها في سعادة وبشاشة ، فالشاعر حزين لهذا الفراق ، ثم هو حزين

لرؤيته ابنه وهو يتساءل عن وجود أمه ، وبخاصة بالليل الذي تزداد فيه حاجته إليها ، ويزداد هذا الحزن عندما يبكي الطفل ، ويفزع من نومه ليلا أَرِقًا خائفا ، ويتضاعف هذا الحزن عندما يلمح الشاعر في عينيه دموع الأسى والفقد إذا شاهد كل طفل غيره تحتضنه أمه في حنان وعطف .

إن الشاعر يخشى من فقد هذا الطفل صغيرا ؛ فيزداد حزنه عليه ، ويتضاعف حزنه على نفسه، ففي هذه اللحظات تتجسد المأساة أمام عينه ، كما تتجسد أيضا في المستقبل حينما يكبر ولا يجد معينا له في شيخوخته إذا فقد طفله صغيرا .

ولنتأمل كيف عبر الشاعر عن مأساة الطفل في الأبيات الثلاثة الأولى ، لقد استطاع ابن الزيات في هذه الأبيات أن يعزف على وتر الأحزان ، مصورًا حزنه من خلال رسم الحالة النفسية لطفله متخذًا الليل وقتًا ليفجر هذه الأحزان ، وتأتي « ألا » في فاتحة الأبيات لتهيئ الأذهان لتلقى الصورة الحزينة ، كما تتكرر « رأي » في البيتين الأول والثاني إمعانًا في نقل الصورة إلى المتلقي ودفعه إلى المشاركة الوجدانية.

لقد أخذت الدموع تنهمر من عيني طفله في وقت يكون أحوج ما يكون فيه إلى أمه ، إن وقت « بُعيد الكرى » لقد أخذته سِنَةٌ من النوم ، ولكنه يتنبه إلى مصابه الأليم ، فتؤرقه الأحزان بعد سكون مؤقت ، ويتكرر ما يدل على ذلك الوقت ، فكانت كلمات« يبيتان – الليل – بات» . فالليل بما يحمل من معاني الإظلام والخوف ، وبما يحمل من معاني السكون والهدوء ، وما تحمله جملتا :« يبيتان – بات » من رغبة في السكون والهدوء ، والفرار من ذلك الإظلام المخيف ، كل ذلك يتلاقى ليشيع جو الحزن والكآبة الذي يسيطر على نفسية الطفل .

وتتكرر كلمة « الأم » وهي مصدر الحنان والعطف في البيتين الأول والثاني ثلاث مرات ، وفي كل مرة تشي بشعور مخالف ، ففي البيت الأول نجد أن تعبير : « الطفل المفارق أمه » يوحي بذلك الضياع النفسي الذي يعانيه الطفل نتيجة لهذا الفراق ، إنه ليس أي فراق عادي ، إنه فراق لمصدر الحنان والعطف ، وفي البيت الثاني تأتي الصورة المقابلة لذلك الفراق ، وهي : « كل أم وابنها ينتجيان » ؛ ليتأكد من خلال هذا التقابل ذلك الفقد الذي يزيد من حدته الاستثناء في قوله : « غير أمه » ، ثم تأتي

صورة الطفل : « وحيدًا في الفراش » في البيت الثالث لتعبر عن البعد النفسي لغياب العطف والحنان والسكون والأمان ؛ فالوحدة بما تعنيه من الانفراد والعزلة والخوف والتصدع النفسي بين الفرد والمحيطين به تتجسد أكثر ما تكون « في الفراش » ، فتنفي ما يوحي به الفراش من الراحة والسكون والسكينة .

وليزيد الشاعر من حدة صراع الأحزان داخل صدر الطفل الحزين ، يصور انتحاب قلبه الصغير ، فتتعالى خفقاته التي يحثها الحزن وعدم الشعور بالسكينة والأمان ، وافتقاد الحب والحنان ، فجاء بتعبيره : « تحثه بلابلُ قلب دائم الخفقان » ، إن كل كلمة في هذا التعبير تترابط مع أختها في رسم البعد النفسي للصورة ؛ فكلمة تحثه بما تحمله من ضغط ودفع ، وتلك الهواجس والمخاوف (بلابل القلب) تشيع الشجون والهموم في غير ملل أو سأم ، فهي « تحث » ذلك الصغير على الشجن والحزن ، ثم إن وصف القلب بأنه « دائم الخفقان » يعبر عن افتقاد السكون النفسي . إن طبيعة القلب أن يخفق ، ولكن الشاعر لا يريد ذلك الخفقان العادي ، ذلك الخفقان الآلي الذي تحكمه وظيفة القلب ، وإنما ذلك الخفقان الذي يُحدثه وقع العواطف الحزينة أو السارة عليه ، إن الطفل لم يكن يتوقع ذلك الفراق الأليم ، ومن ثم ، فوقعه على نفسه شديد التأثير ، ولعل استخدام كلمة : « دائم » التي توحي بالاستمرارية ، مما يدل على سيطرة الحزن على الطفل ، ومن ثم تتكامل كل كلمة في الأبيات لتشي بالصورة الإيحائية التي برع الشاعر في تصويرها .

ومما يمثل رثاء المدن قول ابن الزيات يرثي بغداد [46] :

الآنَ قَامَ عَلى بَغْدادَ نَاعيهَا فَلْيَبْكِها لِخَرابِ الدَّهْرِ بَاكيهَا
كَانتْ عَلَى مَا بِها وَالحَرْبُ بارِكَةٌ والهَدْمُ يَغْدُو عَلَيْها في نَواحِيها
تُرْجَي لَها عَوْدَةٌ في الدَّهرِ صالِحَةٌ فَالآنَ أَضْمَرَ مِنْها اليَأْسَ رَاجِيها
مِثْلُ العَجوزِ التِي وَلَّتْ شَبيبَتُهَا وَبانَ مِنْها جَمالٌ كَانَ يُحْظيها
لَزَّتْ بِها حُرَّةٌ زَهْرَاءُ وَاضِحَةٌ كَالشَّمْسِ مَكْسُوَّةٌ دُرًّا تَراقِيها

(46) الديوان ص : 96 . وأرجح أن تكون هذه الأبيات قد قيلت إثر حرب الأمين والمأمون أو إثر بناء المعتصم لمدينة سر من را وتحول بعض الناس إليها.

ويعد رثاء الحيوان من مظاهر التجديد عند ابن الزيات ، إذ يمثل قوة العاطفة بين الإنسان والحيوان ، ومن ذلك قصيدته في رثاء فرسه الذي أخذه منه المعتصم ، وأولها[47] :

قالوا جزعت فقلت إن مصيبة جلت رزيتها وضاق المذهب

(4) المدح

لا يحتل فن المدح مرتبة كبيرة في شعر ابن الزيات،ومن معانيه عنده – المدح بالمعاني السياسية والدينية،ومن ذلك مدحه للحسن بن سهل وأخيه الفضل،إذ يذكر أنهما دعامة الملك وسيف الخلافة،ومثبتًا الإسلام،والزائدان عن حرمة الدين وميراث الرسل،يقول [48] :

إلى الوزير الحسن استنجدتها إلى مُناخ ومزار ومحل

أي مرار ومناخ ومحل لخايف أو مستريش ذي أمل

دعامة الملك وحيث اعتمدت أركانه والحرز من رتب الدول

سيف أمير المؤمنين المنتضي وحصن ذي الرياستين المعتقل

من عصبة أنقذنا الله بها وثبت الإسلام من بعد الزلل

طيبة الأصل مع الفرع لها غصنان يهتزان في ركن جبل

حفافي الملك يذودان معًا عن حرمة الدين وميراث الرسل

أقسم بالله يمينًا بررة والعيس تجتاب اليباب المتصل

لقولك القول الذي يشفي العمى ورأيك الرأي به قام الميل

أنتم يد الملك التي صال بها خليفة الله على حين وهل

وهضبة الدين وأنصار الهدى وعصمة الحق وفرسان الفُلَل

---

(47) الديوان ص 6 – 8 وسنعرض لها بالتفصيل في الحديث عن الوحدة العضوية في القصيدة .

(48) الديوان ص 58 – 59. وانظر مدحه للفضل بن سهل ، الديوان : ص 33 – 37 .

ويمدح المعتصم فيصفه بالتقي والورع والعدل والعفاف والحفاظ على محارم الدين،ثم يسجل أهم معاركه وغزواته،وأهم الأحداث السياسية في عصره،فيتحدث عن غزوه لأرض الروم،وفتحه عمورية، ومحاربته للزط وقضائه على بابك والخزمية،ومحاكمته للأفشين ثم قتله له،وقتاله للمازيار وأسره والتنكيل به،ويمكن القول بأن ابن الزيات لم يترك حادثة هامة في تاريخ المعتصم السياسي إلى وسجلها،وكأنه يريد البرهنة على تكامل الجانب الديني والجانب السياسي في شخصية المعتصم[49].

(5) شعر اللهو والمجون ووصف الخمر

يصف ابن الزيات مجلس لهو ، قرت فيه عين السرور ، وأمطرتهم سماء اللهو ، وأميط الأذى عنه ، فظلت أباريقهم ساجدة للكأس كما سجد للصنم. فيقول[50] :

ومجلس نظرت عين السرور به ... على الندامى بألوان من النغم
ظلت عليه سماء اللهو هاطلة ... بالسكب من قطرها والوبل والديم
ثابت إليه من اللذات ثايبة ... وقد أميط الأذى عنه فلم يقم
ظلت أباريقنا للكأس ساجدة ... فيه كما خرت الكفار للصنم

ويصف الخمر ، فيقول [51] :

وصبهاء كرخية عتقت ... فطالت بها في الدنان الطيل
فلم يبق منها سوى لونها ... ونكهة ريح بها لم تزل
كأن خيالاً لدى كأسها ... يدق عن الطرف ما لم يجل
فإن جال قلت شراب جرى ... على جانب الكأس لا بل أقل

(49) راجع القصيدة بالديوان ص 89 – 94. وانظر مدحه للواثق مشيرًا إلى انتشار الأمن والأمان والعفو والرخاء في عهده ، الديوان ص 88.
(50) المصدر نفسه : 62 / 63.
(51) الديوان ص 60 – 61.

تســـــمى ولـــــيس لهـــــا في اليقيـــــ ـــــن معـــــنى وجـــــود عليهـــــا يـــــدل

فلـــــولا الدلالـــــة عـــــن ريحهـــــا لضـــــلت ولكـــــن أبـــــت أن تضـــــل

تـــــرى بالتـــــوهم لا بالعيـــــان وتشـــــرب بالقـــــول لا بالعمـــــل

كفـــــاني مـــــن ذوقهـــــا شمهـــــا فرحـــــت أجـــــر ثيـــــاب الثمـــــل

فهذه الخمر قد تقادم العهد عليها حتى صفت،فلم يبق منها إلا لونها ورائحتها فغدت وكأنها خيال يدق عن الطرف،ومن ثم فإن اسم الخمر يطلق عليها مجازًا ؛إذ الحقيقة أنه ليس لها معنى يدل على وجودها ولولا دلالة ريحها عليها لضلت الأسماء في وصفها،فهي ترى بالتوهم لا بالعيان،وتشرب بالقول لابالفعل ، وتسكر بالرائحة لا بالشراب.

(6) التعبير عن تجربة السجن

إن تجربة السجن من أكبر المحن التي عرضت لابن الزيات،وقد صور معاناته في شعره،ومن ذلك وصفه حاله وهو يعذب في التنور الذي سجن فيه،فيصور نفسه عصفورة صغيرة في كف طفل يلهو بها، وهو لا يدري أنه يقتلها تعذيبًا ، يقول[52] :

تمكنـــت مـــن نفســـي فأزمعـــت قتلهـــا وأنـــت رخـــي البـــال والـــنفس تـــذهب

كعصـــفورة في كـــف طفـــل يســـومها ورود حيـــاض المـــوت والطفـــل يلعـــب

فـــلا الطفـــل يـــدري مـــا يســـوم بكفـــه وفي كفـــــه عصـــــفورة تتضـــــرب

وفي هذا التنور يرثي نفسه التي دفنت تحت ردم الهموم والغموم ، فيقول[53] :

لعـــــب البلـــــي بمعـــــالمي ورســـــومي ودفنـــــت حيًـــــا تحـــــت ردم غمـــــوم

وشـــكوت غمـــي حـــين ضـــقت ومـــن شـــكا كـــربًا يضـــيق بـــه فغـــير ملـــوم

(52) المحاسن والمساوئ : 533. وورد البيتان الأول والثاني باختلاف يسير في معجم الشعراء : 365 ولم يردا بالديوان.
(53) المصدر نفسه : 534 ووردت الأبيات باختلاف يسير في نثر النظم وحل العقد للثعالبي : 60.

لـــزم البلـــى جســـمي وأوهـــن قـــوتي إن البلـــــى لموكـــــل بلـــــزوم

أبنيـــتي قلـــي بكـــاءك واصـــبري فـــإذا سمعـــت بهالـــك مغمـــوم

فـــانعي أباك إلى نســـائه واقعـــدي في مـــأتم يبكـــي العيـــون وقـــومي

قـــولي لـــه يا غائبًـــا لا يُرتجـــى حـــتى القيامـــة مخـــبرًا بقـــدوم

يا عـــين كنـــت ومـــا أكلفـــك البكـــا حـــتى ابتليـــت فـــإن صـــبرت فـــدومي

(7) الزهد

تعد التجارب القاسية التي مر بها ابن الزيات عاملاً هامًا في اكتشاف حقيقة الدنيا،التي درَّت له مرًا بعد أن أذاقته حلوًا،وأعقبت سرورها حزنًا ، وبدلت نعيمها بؤسًا، يقول بعد أن عُذب في التنور[54] :

هـــي الســـبيل فمـــن يـــوم إلى يـــوم كأنـــه مـــا تريـــك العـــين في النـــوم

لا تعجلـــــن رويـــــدًا إنهـــــا دول دنيـــا تنقـــل مـــن قـــوم إلى قـــوم

إن المنـــايا وإن أصـــبحت في شـــغل تحـــوم حولـــك حومًـــا أيمـــا حـــوم

ويذكر الأصفهاني أن أحد أصدقائه تلطف في الوصول إليه وهو محبوس فرآه في حديد ثقيل ، فقال له : أعزز على ما أرى ، فقال ابن الزيات[55] :

ســـل ديار الحـــي مـــا غيرهـــا ومحاهـــا ومحـــا منظرهـــا

وهـــي الـــلاتي إذا مـــا انقلبـــت صـــيرت معروفهـــا منكرهـــا

إنمـــا الـــدنيا كظـــل زائـــل نحمـــد الله كـــذا صـــيرها

وإزاء هذه النظرة يرى أن من يأمن الدنيا بعده أحمق جاهل ، يقول[56] :

---

(54) بهجة المجالس : 2/ 293.ووردت باختلاف يسير في العقد الفريد : 164/2 وورد الأول والثاني بالديوان ص 66 .

(55) الأغاني : 27/ 9193/ 9194. والوافي بالوفيات : 4/ 33. ووردت باختلاف يسير في وفيات الأعيان : 101/5 ، وبهجة المجالس : 2/ 297. ولم ترد بالديوان.

(56) الديوان ص : 60/59 ونسبت إلى سعيد بن حُميد في المنازل والديار : 277 وأشعار سعيد بن حميد ق : 59.

ربـــــــت دار بعـــــــد عمرانهـــــــا أضـــحت خـــلاء مـــا بهـــا أهـــل

لم تـــــدخل البهجـــــة دار امـــــرئ إلا ويهـــــــــــــدمها داخـــــــــــل

مـــــا يأمـــــن الـــــدنيا وأيامهـــــا بعـــــــدي إلا أنـــــــوك جاهـــــــل

(8) الحكمة

لايوجد في شعر ابن الزيات قصائد أو مقطوعات تعبر عن الحكمة ، ولكننا نجد أبياتًا أو أجزاء من أبيات تنتشر على استحياء بين موضوعات شعره .

ففي شعر التغزل نجد بعض هذه الحكم مثل قوله :

قـــالوا أســـاء حبيبـــه فـــأجبتهم إن الحبيـــب وإن أســـاء حبيـــب[57]

إن المحـــــب وإن أقـــــام بأهلـــــه مـــا لم يكـــن فـــيمن يحـــب غريـــب

رب لحـــظٍ يكـــون أبـــين مـــن لفـــظ وأبـــدى لمضـــمرات القلـــوب[58]

إن في الهجـــــر نـــــداء معضـــــلا ولـــداء الحـــب أدهـــى وأمـــر[59]

إذا سُمعـــــت مقـــالات الأعـــادي فـــذاك فســـاد بـــين العاشـــقين[60]

وفي شعر المدح نجد بعض هذه الحكم ، مثل قوله :

لا يهتـــدي لطريـــق القصـــد يســـلكه مـــن لا تـــرى عينـــه شمسًـــا ولا قمـــرا[61]

أبـــــدى محاربـــــة ثم انـــــبرى لهـــــم بالمكـــر إن ابـــن أم الحـــرب مـــن مكـــرا

وفي شعر الرثاء نجد أيضًا بعض هذه الحكم مثل قوله :

---

(57) الديوان ص : 8 /9

(58) المصدر نفسه ص 9 : 2 ونسبه ابن داود الظاهري في الزهرة : 94/1 لأحمد بن أبي طاهر.

(59) المصدر نفسه ص 32 : 7.

(60) المصدر نفسه 77 : 13.

(61) الديوان ص : 31 /36

دب الوشـــــاة فباعـــــدوه وربمـــــا بعــد الفــتى وهــو الحبيــب الأقــرب[62]

وشــكوت غمًــا حــين ضــقت ومــن شــكا كـــريا يضـــيق بـــه فغـــير ملـــوم[63]

ثانيا : الموضوعات النثرية

استطاع ابن الزيات أن يعبر عن بعض موضوعات الكتابة الإخوانية شعرا ، مثل شعر الصداقة والصديق والعتاب والاعتذار والتشوق والاستزارة والتهادي .

(1) شعر الصداقة والصديق

ومما يمثل ذلك ضرورة المشاركة الوجدانية للأصدقاء في المحن والأمراض ، ومما يصور ذلك ما كتب به ابن الزيات إلى أحد أصدقائه ، وقد علم بمرضه متمنيًا أن يهبه سلامة نفسه ، يقول[64] :

أعـــــزز علـــــي بأن أراك علـــــيلا أو أن يكـــون بـــك الســـقام نـــزيلا

ووددت أني مالـــــــك لســـــــلامتي فأعيركهـــــا بكـــــرة وأصـــــيلا

فتكـــون تســـعى ســـالمًا بســـلامتي وأكـــون ومـــا قـــد عـــراك بـــديلا

وأنا أخ لـــك أشـــتكي مـــا تشـــتكي وكـــذا الخليـــل إذا أجـــل خلـــيلا

ومن ذلك الصبر على أذى الصديق ، والعفو عنه وتلمس الأعذار له ، ومن ذلك قوله[65] :

إن المـــــودة لا تكـــــون مـــــودة حـــــتى تكـــــون منيعـــــة الأركـــــان

حـــــتى تكـــــون إذا اســـــأت كأنمـــــا تابعـــــت عنـــــد أخيـــــك بالإحســـــان

ثقـــــــــة وإدلالا بأن ضـــــــــميره لـــــك قـــــايم بالعـــــذر والبرهـــــان

---

(62) المصدر نفسه ص 7 : 1.

(63) المحاسن والمساوئ : 532.

(64) الـديوان ص 60 ووردت في ديـوان خالـد الكاتـب ق : 366 باختـلاف يسـير ، كمـا ورد البيتـان الأول والرابـع باختلاف يسير في المنتحل للثعالبي ص 279 منسوبين إلى أحمد بن يوسف الكاتب.

(65) الديوان ص 69.

(2) العتاب والاعتذار

يعد العتاب والاعتذار وسيلتين للحفاظ على آصرة الود والأخوة ، وتكثر الأسباب الداعية إلى العتاب وما يتبعه من الاعتذار ، ومن ذلك ما كتبه الحسن بن وهب إلى صديقه ابن الزيات. وكان الحسن قد مرض فلم يعده ابن الزيات ولا تعرّف خبره ، فكتب الحسن إليه هذا العتاب الرقيق يستوضح فيه أسباب تلك الجفوة التي تركته عرضة للظنون ، ويعده بالزيارة بعد أن تماثل للشفاء ، يقول[66] :

أيهـــــذا الـــــوزير أيـــــدك الله وأبقـــــاك لي بقـــــاءً طـــــويلا
أجمـــــيلاً تـــــراه يا أكـــــرم النـــــا س لكيمـــــا أراه أيضًـــــا جمـــــيلا
إنـــني قـــد أقمـــت عشـــرًا علـــيلا مـــا تـــرى مرســـلاً إلي رســـولا
إن يكـــن موجـــب التعمـــد في الصحـــ (م) ـــة منـــا علـــى منـــك طـــويلا
فهـــو أولى يا ســـيد النـــاس بـــرًا وافتقـــادًا لمـــن يكـــون علـــيلا
فلمـــاذا تـــركتني عرضـــة الظـــن مـــن الحاســـدين جـــيلاً فجـــيلا
الـــذنب ؟ فمـــا علمـــت ســـوى الشكـــ ـــر قرينًـــا لنيـــتي ودخـــيلا
أم مـــلال ؟ فمـــا علمتـــك للصـــا حـــب مثلـــي علـــى الزمـــان ملـــولا
قـــد أتـــى الله بالشـــفاء فمـــا أعـــ ـــرف عمـــا أنكـــرت إلا قلـــيلا
وأكلـــت الـــدراج وهـــو غـــذاء أفلـــت علـــتي عليـــه أفـــولا
بعـــد مـــا كنـــت قـــد حملـــت مـــن العلـــ (م) ـــة عبئًـــا علـــى الطبـــاع ثقـــيلا
ولعلـــي قـــدمت قبلـــك آتيـــ ـــك غـــدا إن وجـــدت فيـــه ســـبيلا

(66) الأغاني : 9187/27 ووردت الأبيات الخمسة الأولى في شرح مقامات الحريري : 262/1.

فيجيبه ابن الزيات معتذرًا طالبًا الصفح والعفو معترفًا بتقصيره ، ذاكر أنه مهما تعلل بالأسباب فإنها لا تفي بالاعتذار ، يقول من البحر نفسه والقافية نفسها[67] :

دفـــــع الله عنـــــك نائبـــــة الدهـــــ ـــــر وحاشـــــاك أن تكـــــون علـــــيلا

أشـــــهد الله مـــــا علمـــــت ومـــــاذا ك مـــــن العـــــذر جـــــائزًا مقبـــــولا

ولعمـــــري أن لـــــو علمـــــت فـــــلا زمتـــــك حـــــولاً لكـــــان عنـــــدي قلـــــيلا

إنـــــني أرتجـــــي وإن لم يكـــــن مـــــا كـــــان ممـــــا نقمـــــت إلا جلـــــيلا

أن أكـــــون الـــــذي أضـــــمر الإخـــــ ـــــلاص لم يلـــــتمس عليـــــه كفـــــيلا

ثم لا يبـــــــذل المـــــــودة حـــــــتى يجعـــــل الجهـــــد دونهـــــا مبـــــذولا

فـــإذا قـــال كـــان مـــا قـــال إذا كـــا ن بعيـــدًا مـــن طبعـــه أن يقـــولا

فـــــاجعلن لي إلى التعلـــــق بالعـــــذ ر ســـــبيلاً إن لم أجـــــد لي ســـــبيلا

فقـــــديمًا مـــــا جـــــاد بالصـــــفح والعفـــــو ومـــــا ســـــامح مـــــع الخليـــــل خلـــــيلا

(3) التشوق والاستزارة

إن مكانة الصديق عند ابن الزيات تضارع مكانة الحبيب،ولذا يبدي التشوق لرؤيته والحزن لغيبته، ويخاطبه مخاطبة العاشق الدنف، متشوقًا لرؤيته،ذاكرًا أن الحياة لايصفو عيشها إلا باجتماعهما،وأن اشتياقه لرؤيته يفوق ما يتمناه العاشق الصب الذي أنهكته الصبابة من العافية ، يقول[68] :

لعمـــــرك مـــــا عيشـــــة رغـــــدة لـــــدي إذا غبـــــت بالراضـــــيه

وإني إلى وجهـــــــــك المستيـــــــــ ـــــر في ظلمـــــة الليلـــــة الداجيـــــه

لأشـــــوق مـــــن مـــــدنف خـــــائف لقـــــاء الحمـــــام إلى العافيـــــه

---

(67) الأغاني : 9188/27 . ووردت الأبيات 1 ، 2 ، 3 ، 8 ، 9 بشرح مقامات الحريري : 262/1. والأبيات 1، 2 ، 4 ، 5 بالزهرة : 145/1 ببعض الاختلاف ولم ترد بالديوان.

(68) الصداقة والصديق : 185/ 186 ولم ترد بالديوان.

(4) التهـادي

يعد التهادي دليلا ناطقا على قوة العلاقات التي تجمع بين الأصدقاء ،ويتميز شعر التهادي بمراعاة قدر المكتوب إليه ، والتلطف في الإهداء والاستهداء،والعناية بالرقة والعذوبة، ومن ذلك ما كتب به راشد بن إسحاق الكاتب إلى ابن الزيات بعد قدومه من الحج ، يذكره بمودته القديمة ، ويستهديه تمرًا وثيابًا ومساويك ونعلا. يقول[69] :

لا تـــــنس عهـــــدي ولا مودتيـــــه واشـــــتق إلي طلعـــــتي ورؤيتيـــــه

إن غبـــت عنـــا لم يغـــب كثـــرة الذكـــ ـــــر فـــــلا تُفعلـــــن هديتـــــه

التمـــر والمقـــل والمســـاويك والقســـ ـــب وخـــير النعـــال حســـن شـــيه

فـــإن تجـــاوزت مـــا أقـــول إلى الـــ قصـــب فـــذاك المـــأمول منـــك ليـــه

فأجابه ابن الزيات من البحر نفسه والقافية نفسها،ذاكـرا أنه لم ينس مودته ولا عهده ولا هديته، ثم يصف له كيف أنه ظل يدعو الله له،حتى ظن أنه قد أجاب دعوته ،ثم توجه إلى السوق فنشر عشرين صاحبًا معه ليبحثوا له عن نعل فخم،وعندما أجمعوا على واحدة طالبه الذي اختارها بالبشارة ،ثم تخير هو بنفسه وبفضل خبرته برودًا يمانية موشاة وظل يساوم البائع حتى ابتاعها منه ، يقول[70] :

إنـــك مـــني بحيـــث يطـــرد النـــ (م) ـــاظر مـــن تحـــت مـــاء دمعتيـــه

ولا مـــــــن زادني تـــــــوددده علـــى صـــحابي بفضـــل غيبتيـــه

مـــا أحســـن الـــترك والخـــلاف لمـــا تُريـــد مـــني ومـــا تقـــول ليـــه

يا بأبي أنـــت مـــا نســـيتك في يـــوم دُعـــائي ولا هديتيـــه

ناجيـــت بالـــذكر والـــدعاء لـــك الـــ ـــله لـــدى البيـــت رافعًـــا يديـــه

---

(69) الأغاني 9179/27. وورد ببعض الاختلاف في طبقات ابن المعتز : 389 ، وورد البيتان الأول والرابع في معجم الأدباء : 122/11/ 123 والمقل حمل الدوم. والقسب : التمر اليابس. العصب : ضرب من البرود.

(70) الأغاني: 9180/27 ووردت ببعض الاختلاف في معجم الأدباء:11/ 123/ 124.والديوان ص 97/96 .

حـــتى إذا مـــا ظننـــت بالملـــك الـــ ـــــقادر أن قـــد أجـــاب دعوتيـــه

قمـــت إلى موضـــع النعـــال وقـــد أقمـــت عشـــرين صـــاحبًا معيـــه

وقلـــت لي صـــاحب أريـــد لـــه نعـــلاً ولـــو مـــن جلـــود راحتيـــه

فـــانقطع القـــول عنـــد واحـــدة قـــال الـــذي اختـــار يا بشـــارتيه

فقلـــت عنـــدي لـــك البشـــارة والشـــ (م) ـــــر وقـــلا في جنـــب حاجتيـــه

ثم تخـــيرت بعـــد ذاك مـــن الـــ ـــــعصب اليمـــاني بفضـــل خبرتيـــه

موشـــــــية لم أزل ببائعهـــــــا أرغـــب حـــتى زهـــا علـــي بيـــه

يرفـــــع في ســـــومة وأرغبـــــه حـــتى التقـــى زهـــده ورغبتيـــه

وقـــد أتاك الـــذي أمـــرت بـــه فاعـــذر بكثـــر الإنعـــام قلتيـــه

الخصائص الفنية لشعر ابن الزيات

أولا : البناء الفني للقصيدة

يلاحظ الباحث أن نسبة القصائد في ديوان ابن الزيات قليلة مقارنة بكثرة المقطوعات [71] ، فعدد القصائد في ديوان ابن الزيات يبلغ اثنتين وثلاثين قصيدة بنسبة 20,13% تقريبًا ، بينما تمثل نسبة المقطوعات في الديوان 79.87% تقريبًا ، كما يلاحظ أن أكثر المقطوعات تتراوح بين بيتين إلى خمسة أبيات فقط ، وتتوافق هذه الكثرة مع الاتجاه العام عند شعراء القرنين الثاني والثالث نتيجة للتطور الحضاري وشيوع الغناء ، وتحقيقًا لشعبية الشعر وسرعة تناقله ودورانه على الألسن [72] .

([71]) . اختلف القدماء في عدد الأبيات التي يمكن أن يطلق عليها قصيدة. فمنهم من ذهب إلى أن الحد الأدنى سبعة أبيات وبعضهم لا يعد القصيدة إلا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد. راجع العمدة 189/1. وسنأخذ في هذا البحث بالرأي الأخير. أي سنعد القصيدة ما جاوز عشرة أبيات ولو ببيت واحد.

([72]) . راجع اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني : د. محمد مصطفى هدارة : 158 ، 159 وحياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني : د. يوسف خليف : 604 ، 642 وفي الشعر العباسي د. عز الدين إسماعيل: 418.

ويمكن أن نتبين ذلك بالنظر في الجدول الآتي :

عدد القصائد	عدد المقطوعات	تصنيف القصائد حسب الأبيات			تصنيف المقطوعات حسب الأبيات				مجموع الأبيات
		من 11 –20	من 21– 40	أكثر من 40	أبيات مفردة	قطع ذات بيتين	قطع من 3– 5	قطع من 6 – 10	
32	127	18	11	3	2	28	65	32	1269

ويلاحظ في بناء القصائد عند ابن الزيات أنه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول :

وهو الذي يبدأ بمقدمة منفصلة عن موضوع القصيدة ، سواء أكانت هذه المقدمة طليلة أم عزلية. وتكثر هذه المقدمات في قصائد المدح خاصة. ويكون الشاعر في هذه القصائد أقرب إلى الأسلوب التقليدي الذي أمدته به ثقافته الشعرية،ومما يمثل ذلك قوله في مدح الفضل بن سهل[73] :

قف بالمنازل والربع الذي داثرا ... فسقها الماء من عينيك والمطرا
بل ما بكاؤك في دار تضمنها ... ريب الزمان فأجلي أهلها زمرا
بلى ، وجدت البكا يشفي إذا طرقت ... طوارق الهم إن سحا وإن دررا

فالشاعر يبدأ قصيدته بمقدمة طللية حيث وقف بمنازل حبيبته التي رحلت عنها ، ثم يبكي لما حل بهذه الديار التي أرغمت حوادث الزمان أهلها على الجلاء،ويرى أن البكاء خير وسيلة للتخفيف من حدة الهموم التي تتكالب عليه،ثم يذكر يوم الفراق الذي أشعل النار في جوانحه فأذاب كيده،وأذهب بصره، فغاضت المقلتان بالدموع،وجفاه النوم،وحالف السهر،ثم يتوجه بالخطاب إلى تلك الأطلال متسائلاً :أين ذهب أهلها ؟. وهل تعرف مكانهم الآن ؟ لقد تعود رؤيتهم. أما الآن فلم يعد يرى لهم أثرًا ، لقد رحلوا إلى الحضر بعد أن ولى الربيع. ثم يصف رحلتهم على الإبل القوية النشيطة التي تعودت على السفر ، ثم يطلب من حادي العيس أن يحث السير حتى يلحق بهم ، متجشمًا في ذلك الأخطار والأهوال ؛ لأنه ما زال قائمًا على عهده مع حبيبته ، ولولاها ما تجشم هذه الصعاب في بلاد لا مأوى فيها، ولا ناصر ولا

(73) الديوان : ص 33 – 35 ، وراجع أيضًا قصائده ص : 56 ، 62 ، 89.

دليل. ويتخذ من ذكره للنصرة والمأوى مجالاً للتوجه إلى الممدوح ، فهو ناصر الدين ، وهو خير من يأوي ومن ينصر ، فيقول :

يا ناصـــر الـــدين إذ رثـــت حبائلـــه لأنـــت أكـــرم مـــن آوى ومـــن نصـــرا

ويستطرد في مدحه مؤكدًا ، أنه لم يمدح أحدًا غيره ، ولم يكن ليتجشم هذه المخاطر إلا له فهو يعرف حق قدره ، ثم يعود مرة ثانية ليصف رحلته إليه على ناقته التي دميت أطرافها من كثرة مشيها على الحجارة ، والتي لم تبق السيور التي تُشد بها من شحمها شيئًا ، فهي لا تنعم بقليل من الراحة ، وإذا ما تعب غيرها من المطي لم تتوان ولم يصبها الخور ، وإذا أنيخت لتستريح قليلاً ، فسرعان ما يزعجها حاد نشيط ، لا يعرف الملل والكلل ، فيسير بها في صحراء شاسعة قاسية تهلك من يسير فيها حتى استطاع اجتيازها برغم مخاطرها إلى الممدوح فأنيخت به. يقول :

إليـــك أعملتهـــا تـــدمي مناسمهـــا مـــن مســـحها المـــرو والكـــدان والبهـــرا

لم يبـــق مـــن نيهـــا عـــض النســـوع بهـــا إلا تعســـفها والنـــاظر الحـــذرا

تخـــدي علـــى تفنـــات يـــرتمين بهـــا إذا المطـــي وفي لم تعـــرف الخـــورا

لأيا أنخـــت قلـــيلاً ثم أزعجهـــا حـــاد إذا مـــا ونى أمثالـــه انشـــمرا

في مهمـــة لا تـــرى عـــين البصـــير بـــه إلا حواســـر صـــرعى غـــودرت جـــزرا

يغـــض مـــن هولـــه الحـــادي بإصـــبعه ويجعـــل المـــاء دون الـــزاد مـــدخرًا

حـــتى أنيخـــت بأعلـــى النـــاس منزلـــة عنـــد الإمـــام وأعفـــاهم إذا قـــدرا

ثم يعود مرة ثانية إلى مدحه ، فيصف مواقفه التاريخية ، وما حدث في حروب الفتنة بين الأمين والمأمون ، مشيدًا بصائب رأيه وشجاعته ومقدرته الحربية ، لينتهي إلى خاتمة الأبيات التي يُكثف فيها المدح للفضل ليبقى في ذهنه حتى يستحق ما ذكره من التحجيل والغرر .

ولذا نراه يؤكد صواب رأيه ، ونفاذ بصيرته ، وقدرته على تصريف الأمور في الشدة ، وإشاعة الخير والأمن والرخاء في السلم. ويذكر أنه جواد متلاف للمال ، إذا شُكر زاد في فضله ، وإن جُحد لم

يمنعه الجحود من الجود. حتى طاب الزمان لهم ؛ فتمنت الأرض بما عليها من إنسان ونبات أن يُنشر الميت بعد أن كانوا يتمنون من قبل أن يموت الحي ، كما تمنوا أن يفدونه من السوء بأنفسهم ، وأن يأخذ الله من أعمارهم ليطيل في عمره. يقول :

كم قد تداركتنا من قعر مظلمة ... وكم جبرت كسير العظم فانجبرا
وكم سننت لنا في الخير من سنن ... أمثالها ما علمنا تنب الشعرا
أنت المدبر لولا ما تداركنا ... من يمن رأيك كنا للردى جزرا
لم يشكر الفضل كنه الشكر إن له ... فضلاً يُضاعف أضعافًا إذا شكرا
لا يجمع المال إلا ريث يتلفه ... ولا يزهده في العرف من كفرا
لا يقطع الأمر من مفاصله ... سيان ما غاب منه عنه أو حضرا
كنا نقول ألا يا ليت باقينا ... والحي منا كمثل الميت إذ قبرا
فالأرض بالذر من طيب الزمان لنا ... تقول يا ليت أن الميت قد نُشرا
يا ليت أنا نقيه السوء أنفسنا ... بل ليت أعمارنا كانت له عمرا

ويلاحظ في هذه القصيدة أن ابن الزيات بعد أن بدأ يذكر الأطلال، ويوم الفراق، ورحلة الحبيبة، وحثه السير ليلحق بها في بلاد موحشة لا ناصر فيها ولا مأوى ، ثم المدح – يعود ثانية ليذكر رحلته وما تجشم من متاعب ، ويذكر إنضاء راحلته ، ليتخذ من ذلك سبيلاً للمدح مرة أخرى ، ولعل السبب في ذلك حرصه على إثبات تفوقه،وبراعته الشعرية واللغوية لينال مركزًا مرموقًا في الدولة كما صرح في قوله :

لم أمتدحك رجاء المال أطلبه ... لكن لتلبسني التحجيل والغررا

ويلاحظ على هذا النوع من القصائد ، تنوع انتقال الشاعر من المقدمة إلى الموضوع. فإما أن يمهد الشاعر لموضوعه بأن يصف الناقة ورحلته عليها ، وما تكلفه من تعب ومشقة ، ثم يجعلها نقصد الممدوح

وتحل ببابه ، ومن ثم يجد المجال متاحًا لمدحه ، كما في قصيدته السابقة ، وإما أن يستعمل. إنَّ المشددة ليفصل بين المقدمة وبين ابتداء المدح كما في قصيدته التي مطلعها[74] :

مـــا للغـــواني مـــن رأيـــن برأســـه يققـــا مللـــن وصـــاله وشـــنينه

فإنه ينتقل إلى المدح بقوله :

إن الخليفـــة خـــير مـــن وطـــئ الحصـــا لله يمحـــــص دينـــــه ويقينـــــه

أما النوع الثاني ، فهو الذي يبدأ بمقدمة مرتبطة بموضوع القصيدة ، ويكثر هذا النوع في الموضوعات الوجدانية كالتغزل والرثاء. ومن ذلك قصيدته التي مطلعها[75] :

إن في الصـــــبر لخـــــيرًا فاصـــــطبر واســـتعذ بالله مـــن ســـوء القـــدر

إذ يبدؤها بمقدمة عن الصبر تمهيدًا للكلام عن الصبر على هجر الحبيب وما يصيب المحب من اللوم والعذل ، وفي هذا النوع من القصائد يكون الانتقال من المقدمة إلى الموضوع متصلاً بما قبله من غير الاستعانة بتعبيرات مساعدة مثل : «دع ذا» ، أو «عد عن ذا» ، فالمقدمة تعد جزءًا ممهدًا للموضوع .

أما النوع الثالث : فهو الذي يدخل فيه ابن الزيات مباشرة إلى موضوعه ، بدون أي مقدمات. ويشمل هذا النوع أكثر موضوعات شعره ، ومن ذلك قصائده التي مطالعها :

إذا أحببـــــــــت لم أســـــــــل وإن واصـــــــــلت لم أقطـــــــــع[76]

ألا مـــــن رأى الطفـــــل المفـــــارق أمـــــه بُعيـــــد الكـــــرى عينـــــاه تنســـــكبان[77]

يا أنـــــف عيســـــى جـــــزاك الله صـــــالحة وزادك الله إشـــــــــراقًا ومتســـــــــعا[78]

---

(74) المصدر نفسه : 89 – 94.
(75) المصدر نفسه ص : 31 وراجع له القصائد ص 21 ، 45 ، 55.
(76) الديوان ص 43.
(77) المصدر نفسه ص : 67.
(78) المصدر نفسه ص 42 ، وراجع له أيضًا قصائده صفحات : 21، 48، 50، 63، 67، 69، 70، 80، 81، 84 ، 95 ، 96.

وجدير بالإشارة أن هذا النوع من القصائد يتفوق في عدده على الأنواع الأخرى ، وإذا أضفنا إليه القصائد التي ترتبط مقدماتها بالموضوع ، فإنه يمكن القول بأن تغلب الطابع الذاتي على ابن الزيات قد دفع به إلى تجنب كثرة المقدمات التقليدية ، ومحاولة إيجاد الوحدة الموضوعية لقصائده.

وجود الوحدة الموضوعية والعضوية :

ساعد تخلص ابن الزيات من كثرة المقدمات التقليدية ، والدخول مباشرة في الموضوع ، أو ربط المقدمة به ، أو الاتجاه إلى المقطوعات – على إيجاد الوحدة الموضوعية في كثير من أشعاره، ومن الدلائل الواضحة على تحقيق هذه الوحدة ، وجود ظاهرة التضمين[79] : إذ تترابط أبيات القصيدة أو المقطوعة ببعضها للتعبير عن معنى موحد لا يمكن التعبير عنه إلا من خلال هذا الترابط ، ومن هذه الدلائل أيضًا ظاهرة التدوير بين شطري البيت الواحد ، وقد يقع التدوير في بعض أبيات القصيدة أو المقطوعة ، وقد يمتد ليشمل أغلب أبياتهما ، وقد بلغت نسبة التدوير في ديوان ابن الزيات 14.4% تقريبًا ، ومن ذلك قوله [80].

بات للهم رقيب ... يمنع الغمض الجفونا

بات يستدعي لي الهم ... م ويستوفي الأنينا

فكأني لم أكن كنـ ... ـت لمن سُر خد بنا

وكأني لم أكن للـ ... ـقوم مذ كنت قريبا

وأميري قد برى جسـ ... ـمي ضرارًا أن يخونا

قلبه من حجر صلـ ... ـد فمن لي أن يلينا

ثور الأحزان في القلـ ... ـب وقد كن سكونا

فتناهين عن الصبـ ... ـر وحالفن الجنونا

(79) راجع أمثلة لذلك في ديوان ابن الزيات ص : 1/ 4/ 13/ 16/ 17/ 39/ 51/ 60/ 64/ 76/ 96/ 97 .
(80) الديوان : ص 75.

وإذا مـــــا قلـــــت صـــــلني قـــــال مـــــاذا أن يكـــــونا

فإليـــــه مفزعـــــي منـــــه وإن كـــــان ضـــــنينا

ومن هذه الدلائل أيضًا استخدام حروف العطف في الربط بين الأبيات وبين الشطور ، مما يجعل الشعر شبيهًا بالرسالة في وحدة الموضوع[81].

أما الوحدة العضوية بما تعنيه من «وحدة الموضوع ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع ، وما يستلزم ذلك في ترتيب الصور والأفكار ترتيبا به تتقدم القصيدة شيئًا فشيئًا حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور ، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية لكل جزء وظيفة فيها. ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر»[82].– فإنها تتحقق في كثير من شعر ابن الزيات ؛ وذلك لأن غلبة الطابع الذاتي على هذا الشعر .

ومن أمثلة ذلك قصيدته التي يرثي فيها فرسه[83]،فهي تعبير عن التعاطف بين الإنسان والحيوان ، إذا تبدأ القصيدة ببيان عظم مصيبته في ذهاب هذا الفرس الذي أخذ رغمًا عنه،بعد أن وشى به الوشاة إلى الخليفة،فلقد ذهب بذهابه الصبر والعزاء والسلوان،وغدت نفسه مقسمة ذهب قسم منها حيث ولى ذلك الحبيب،وبقي القسم الآخر مهمومًا حزينًا في حالة تنذر بذهابه أيضًا، يقول :

قـــالوا جزعـــت فقلـــت : إن مصـــيبة جلـــت رزيتهـــا وضـــاق المـــذهب

كيـــف العـــزاء وقـــد مضـــى لســـبيله عنـــا فودعنـــا الأكـــم الأشـــهب

دب الوشـــــاة فباعـــــدوه وربمـــــا بعـــد الفـــتى وهـــو الحبيـــب الأقـــرب

لله يـــــوم غـــــدوت عـــــني ظاعنًـــــا وســـلبت قربـــك أي علـــق أســـلب

نفســـي مقســـمة أقـــام فريقهـــا وغـــدا لطيتـــه فريـــق يـــذهب

---

(81) سنشير إلى هذا في الحديث عن ملامح الصياغة النثرية في شعر ابن الزيات .

(82) النقد الأدبي الحديث د. غنيمي هلال : 373. وراجع في النقد الأدبي د. شوقي ضيف : 153 ، دراسات في الشعر والمسرح :7 ، 8. قضايا النقد الأدبي د. محمد زكي العشماوي : 110 ، 111.

(83) الديوان ص 6 – 8.

وينتقل ليحدثنا عن هيئة هذا الفرس وانعكاساتها على نفسه،فلقد كملت أداته واجتذب لونه العيون،وزُين بالحلى النادرة،وبقطع الحديد النقية الخالصة،حتى غدا طنان اللجام ، وكأنما تحول كل عضو منه إلى صنج يعزف الألحان العذبة،وتؤنق في صنع سرجه حتى أصبح كالغمامة تظلل كوكبًا، ولاشك أن هذا الإعجاب الذي يملأ نفس الشاعر يعكس حالته الشعورية إذا ما اعتلى صهوة هذا الفرس،كما يعكس شعور الحقد والحسد الذي يصور نفس الأعداء،وهم يرون ما به من جلال ومهابة ، كلما امتطى هذا الفرس، فكيف يتحول إذن هذا الارتباط النفسي إلى ذكريات قد تختفي بمرور الأيام ؟ ، إنه إذا نسى هذا الفرس فكأنما نسي نفسه وذاته ،ثم يصور الشاعر اللحظة التي أخذ فيها هذا الفرس وما خلفته في نفسه من بأس وحسرة وعداوة ترجم عنها شعوره بضرورة الثأر ممن أخذوه ، يقول :

الآن إذا كملت أداتك كلها ... ودعا العيون إليك لون معجب

واختير من سر الحداد خيرها ... لك خالصًا ، ومن الحلي الأغرب

وغدوت طنان اللجام كأنما ... في كل عضو منك صنج يضرب

وكأن سرجك إذ علاك غمامة ... وكأنما تحت الغمامة كوكب

ورأى علي بك الصديق مهابة ... وعدا العدو وصدره يتلهب

أغمرت منك اليأس حين رأيتني ... وقوى حبالك من قواي تقضب

ورجعت – حين رجعت – منك بحشرة ... لله ما صنع الأحم الأشهب[84]

فلتعلمن ، ألا تزال عداوة ... عندي مريضة وثأر يطلب

وتشتد حدة الشعور بالفقد لدى الشاعر ، فينادي صاحبيه ليشاركه في ذلك المصاب الجلل ، ويطلب منهما أن يبكيا وأن يعوجا ليتزودوا من النظر إلى ذلك الفقيد، ويطلب منهما أن يتجنبا الكلام ، وأن لا يشعراه بهم ، فإنه قد بلغ من رهافة الإحساس ما جعله يشعر أيضًا بأحاسيس الفقد ، يقول :

يا صاحبي لمثل ذا من أمره ... صحب الفتى في دهره من يصحب

(84) في الديوان الأصم الأشهب والتصحيح من الأغاني 27/9181.

إن تُســـــعدا فصـــــنيعة مشـــــكورة أو تخـــــذلا فصـــــنيعة لا تـــــذهب

عوجـــــا نقـــــض حاجـــــة وتجنبـــــا بـــث الحـــديث ، فـــإن ذلـــك أعجـــب

لا تشـــــعرا بكمـــــا الأصـــــم فإنـــــه وأبيكمـــــا الصـــــدع الـــــذي لا يـــــرأب

أو تطـــــويا عنـــــه الحـــــديث فإنـــــه أدنى لأســـــباب الرشـــــاد وأقـــــرب

لا تشـــعراه بنـــا فلـــيس لـــذي هـــوى نشـــكو إليـــه عنـــده مســـتعتب

وفقًـــا فقـــولا مرحبـــا وتـــزودا نظـــرًا وقـــل لمـــن يحـــب المرحـــب

ويختم أبيات القصيدة بتكثيف لشعور الفقد وما يحس به من الحزن والحسرة واللوعة والجوى حتى جفاه النوم ، وتكالبت عليه الهموم ، واشتاق القلب إلى ذلك الحبيب الفقيد ، مما جعله يصبو إلى ألحان لعله ينسى ، ولكن هيهات هيهات. ولذا يعاهده بأن يبقى وفيًا لذكراه ، وأن تظل عينه فياضة بالدمع ، وكيده حري من الجوى. يقول :

منـــع الرقـــاد جـــوى تضـــمنه الحشـــا وهـــوى أكابـــده وهـــم منصـــب

وصـــبا إلى الحـــان الفـــؤاد وشـــاقه شـــخص هنـــاك إلى الفـــؤاد محبـــب

فكمـــا بقيـــت – لتبقـــين لـــذكره كيـــد مفرثـــة وعـــين تســـكب

إن شعور الفقد المسيطر على هذه القصيدة تتزايد حدته كلما مضينا مع الشاعر حتى يأتي بهذا التكثيف الأخير مما يبرهن على وحدة الشعور والموضوع فيها ، فابن الزيات في هذه القصيدة يجعل الفرس في مكانة الحبيب الذي يدمي فراقه القلوب ، ويفجر الشجون ، ويبكي العيون ؛ ولذا يكثر من التعبير عنه بـ (الحبيب القريب – ذي الهوى – قل لمن يحب المرحب – شخص هناك إلى الفؤاد محبب) ، ونستطيع القول بأن من يقرأ الأبيات الأخيرة : (منع الرقاد .....) ، ولم يقف على بداية القصيدة ، فإنه سيظن أنها في الغزل الموجه إلى الإنسان ، وليست في رثاء الحيوان ، وقد فرضت عاطفة الحب على ابن الزيات أن ينقلنا إلى ما هو معتاد في قصائد الغزل من دعوة الأصحاب لمشاركته وجدانيا ، ومن تصوير أثر مشاعر الحب على المحب .

وإزاء هذه المكانة التي يحتلها الفرس في نفس ابن الزيات ، فإنه يكرر في قصيدته معاني الوفاء لهذا الحبيب ، مثل قوله : (فلتعلمن ألا تزال عداوة عندي ..) وقوله : (فكما بقيت ....) .

ثانيا : اللغة والأسلوب

إن الأديب لا يستطيع أن يصل إلى قارئه إلا من خلال الاستخدام اللغوي الذي يحكم طبيعة التعبير والخلق الأدبي [85] ، ومما لا شك فيه أن طبيعة الاستخدام اللغوي تختلف من أديب إلى أديب ، بحكم عوامل كثيرة ، كاختلاف البيئة والثقافة بينهما ، مما يجعل اللغة صورة معبرة عن الأديب نفسه ، ويمكن القول بأن أهم خصائص لغة ابن الزيات هي :

- السهولة والوضوح والرقة والعذوبة :

إن أغلب شعر ابن الزيات يميل إلى السهولة والوضوح ، فلقد وصف ابن رشيق شعر الغزل عنده بأنه «غاية في العذوبة»[86]، ووصف ابن خلكان أشعاره بأنها «رائقة»[87]، فالسهل الممتنع هو الطابع العام لشعره ولذوقه الفني على السواء ، فهو لم يلجأ إلى الأسلوب الجزل الفخم وإلى استخدام الكلمات المعجمية الغريبة إلا في المواقف التي يود أن يثبت تفوقه ومقدرته اللغوية والبيانية فيها ، وبخاصة في بداية حياته لكي يتبوأ مركزًا اجتماعيًا مرموقًا ، أو على حد تعبيره في مدحه للفضل بن سهل ، وقيل للحسن بن سهل «لتلبسني التحجيل والغررا»[88]،وعادة ما ينحصر هذا الأسلوب في مجال المدح والفخر والغزل التقليدي؛أما بقية الأغراض،فتتميز بالسهولة والعذوبة والوضوح،ولكن علينا ألا « نفهم معنى السهولة .. على أنه ركاكة تعبيرية ، أو ضعف لغوي ، وكذلك لا ينبغي أن نفهم معنى الوضوح على أنه ابتذال في المعاني والصيغ ، وهذا لأن السهولة والوضوح هنا مبعثهما الطبع لا التكلف »[89].

---

(85) قضايا النقد الأدبي د. محمد زكي العشماوي : 31 ، 32.
(86) العمدة : 107/2.
(87) وفيات الأعيان : 95/5.
(88) الديوان ص 35. وهي ضمن قصيدة يمدح بها الفضل بن سهل ، وقد ذكر الأصفهاني أنه توجه بها للحسن سهل. راجع الأغاني : 9164/27. وراجع أمثلة لهذا الأسلوب في ديوان ص : 5/ 13/8 / 20/ 21/ 33/ 56/ 65.
(89) في نظرية الأدب. د. عثمان موافي : 96/1.

- **الاقتراب من لغة الحياة اليومية :**

يعد اقتراب لغة الشعر من لغة الحياة اليومية اتجاها عاما عند شعراء القرن الثاني والثالث [90]،ومما يمثل ذلك عند ابن الزيات استخدام بعض العبارات الشائعة في الحياة اليومية كقوله [91] :

وقـــــد أصـــــبحت فيمـــــا جئـــــ ـــــــت محتاجًـــــا إلى ضـــــرب

وكقوله[92] :

يريـــــد أن يأخـــــذها عنـــــوة عـــذرت لـــو كـــان مـــن النـــاس

ويتمثل ذلك أيضًا في استخدام عبارات التلطف في التغزل التي تدور في الحياة اليومية كقوله [93] :

إن كنـــت قـــد أذنبـــت ذنـــ ـــــبًا نـــور عيـــني فـــاغفره

كما يتمثل أيضا في استخدام بعض الأمثال والحكم الشائعة في الحياة اليومية مثل قوله [94] :

اجعـــل الصـــبر لمـــا تحـــذره جنـــة فالصـــبر مفتـــاح الظفـــر

3 – البعد عن المحسنات البديعية المتكلفة :

تجنب ابن الزيات استخدام المحسنات البديعية المتكلفة لغلبة الطابع الذاتي على أشعاره .

4 – ظهور بعض ملامح الصياغة النثرية :

لقد أثرت مهنة الكتابة على لغة شعر ابن الزيات فبدت عليها بعض ملامح الصياغة النثرية التي تدور في محورها حول التقريرية والتعليمية والعقلية. ومن أهم هذه الملامح :

---

(90) راجع : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني : د. محمد مصطفى هدارة : 587.
(91) الديوان ص : 4 : 12.
(92) المصدر نفسه ص : 40 : 13 وراجع أمثلة أخرى بالديوان ص : 3 : 1 ، 25 : 7 ، 51 : 3 ، 5 ، 6 وتاريخ بغداد : 344/2. الموشى : 217. تثار الأزهار : 24.
(93) الديوان ص : 81 : 17 وراجع أمثلة أخرى في الديوان ص : 19 : 10 ، 73 : 1.
(94) الديوان ص : 31 : 3.

أ) استخدام لغة القص والحوار :

فكثيرًا ما يستخدم ابن الزيات لغة الحوار (قلت – قالت – قال – قالوا) ، وذلك فيما يشبه القصة القصيرة التي تركز على تصوير موقف معين في الحياة كالذي نراه في قوله [95] :

لم أنس حُسن الموقف وعلامة النظر الخفي

فإذا أردت وداعها قالت محاسنها : قف

فأجبت : لست ببارح من حسرة وتلهف

بهواك صافيت الجوى وعرفت ما لم أعرف

فالشاعر هنا يقدم لنا موقفًا قصيرًا استخدم فيه أسلوب القص المعتمد على الحوار بينه وبين محاسن صاحبته ، وذلك في لحظة من اللحظات التي تجمع بين روعة اللقاء ، ولوعة الفراق.

ولقد حالت كثرة المقطوعات وقصرها دون نمو ذلك الأسلوب القصصي.

ب – استخدام الجمل الدعائية :

يمكن القول بأن استخدام الجمل الدعائية – عند ابن الزيات – يعد تأثيرا مباشرا وقويا لكتاباته النثرية التي تكثر فيها هذه الجمل ، ومن أمثلة ذلك قوله [96] :

واعف – فدتك النفوس – عن رجل يعيش حتى الممات في حسبك

ج – استخدام صيغتي الأمر والنهر بغرض النصح والإرشاد :

قد يميل ابن الزيات في بعض أشعاره إلى الصيغة التعليمية رغبة في رسم صورة مثالية للأخلاق ، كقوله يدعو إلى التخلق بخلق الصبر ؛ لأنه مفتاح الظفر ، وهو العاصم من صولة الهم والحزن[97]:

---

(95) الديوان ص 46. وراجع له أيضًا صفحات : 2، 6، 8، 43، 48، 55، 56، 63، 64.

(96) الديوان ص : 50 : 8 وراجع له أمثلة أخرى صفحات : 9 : 3 ، 17 : 6، 18 : 11 ، 46 : 4، 65: 17، 73: 9 ، 15، 87: 8 ، 97: 4.

(97) الديوان ص : 31 وراجع له أيضًا ص : 70، 78.

إن في الصـــــبر لخـــــيرًا فاصـــــطبر واســـتعذ بالله مـــن ســـوء القـــدر
اجعـــل الصـــبر لمـــا تحـــذره جُنـــة فالصـــبر مفتـــاح الظفـــر
كـــل مـــن حـــدثت عنـــه أنـــه نال خـــيرًا فـــاعلمن أن قـــد صـــبر
إن في الصـــبر مجـــيرًا لـــك مـــن صـــولة الهـــم إذا الهـــم حضـــر

د – التكرار :

ذكر ابن رشيق أن « للتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقبح فيها ، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل ، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعًا فذلك الخذلان بعينه ، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسمًا إلا على جهة التشوق والاستعذاب إذا كان في تعزل ونسيب ... أو على سبيل التنويه به والإشارة إليه بذكر إن كان في مدح ... أو على سبيل التعظيم للمحكي عنه ... أو على جهة الوعيد والتهديد إن كان في عتاب موجع ... أو على جهة التوجع إن كان رثاء وتأبينا ... أو على سبيل الاستغاثة وهي في باب المديح ... ويقع التكرار في الهجاء على سبيل الشهرة ، وشدة التوضيع بالمهجو ... وقد يقع أيضًا على سبيل الازدراء والتهكم والتنقيص»[98].

فالتكرار إذن لابد أن يكون له قيمة فنية موحية تضاف إلى القيم الأخرى في العمل الأدبي ، وإلا أصبح قبيحًا معيبًا يميل بالعمل الأدبي إلى النثرية. وقد ورد النوعان في شعر ابن الزيات ، فمن أمثلة التكرار الموحي قوله [99] :

تـــــركتني صـــــبابها مســـــتهاما ســـاهرًا مـــا ألـــذ طعـــم الرقـــاد
تـــــركتني كـــــأن في الجفـــــن مـــــني وعلـــى مـــا افترشـــت شـــوك القتـــاد
تـــــركتني إلى الممـــــات قريحـــــا تـــــركتني أهـــــذي بهـــــا وأنادي
تـــــركتني ولـــــيس بي مـــــن حـــــراك كاســـف البـــال شـــهرة في بـــلادي

(98) العمدة : 2/ 74 – 76.
(99) الديوان ص : 18 : 5 – 8 وراجع له أيضًا الديوان ص 67 ، 68 ، 95.

ففي هذه الأبيات يتكرر التعبير «تركتني» خمس مرات،وبالإضافة إلى ما يشيعه من جو موسيقي ، فإنه يعبر عن حالة الوحدة والتفرد التي يعاني منها الشاعر نتيجة هجر حبيبته له ؛ فكلما تكرر التعبير «تركتني» حمل إلينا صورة مختلفة لما يعانيه الشاعر. ففي البيت الأول يعكس حالة الترك والهجر عليه ، وهو الصب المستهام الذي لا يلذ له طعم النوم من كثرة الأرق والسهاد،وفي البيت الثاني يؤكد ذلك الأرق فكأن جفونه شوك،وفي فراشه شوك،فكيف يغمض له جفن؟،وكيف يلذ له رقاد،وهو يعاني من ذلك الشوك الصلب الذي يشبه الإبر؟،ثم يتكرر «تركتني» في البيت الثالث مرتين،وكأن الشاعر يريد تكثيف الشعور بالهجر الذي خلفه قريحا، يعاني من جرح الحب حتى الممات،والذي جعله يهذي باسم حبيبته،ويأتي التعبير «تركتني» في البيت الأخير ليصور حالة ذلك المحب المسكين الصب المسهد المستهام الجريح الذي يهذي باسم حبيبته،فإذا الهجر قد كاد يقضي عليه،وإذا البيت يقترب به من حافة الموت ، فتختزل قواه،ويفقد قدرته على الحركة وتظلم أعماقه،فيشعر بكسوف نفسي حتى لقد ذاعت شهرته في البلاد،فتكرار «تركتني» في الأبيات يزيد من حدة المعاناة والصراع في نفس الشاعر نتيجة الهجر والبين.

أما النوع الثاني الذي يفقد فيه التكرار إيحاءاته ويميل إلى النثرية ، فمن ذلك قوله [100] :

بـــــدر بـــــدا في ليلـــــة البـــــدر في ليلـــــة الأربـــــع والعشـــــر
لـــــذلك الشـــــهر لـــــدي يـــــد لا ينقضـــــي الـــــدهر لهـــــا شـــــكري
أطلـــــع بـــــدرين ومـــــا عهـــــدنا بأن نـــــرى بـــــدرين في شـــــهر
رأيـــــت بـــــدرين في ليلـــــة كلاهمـــــا في ضـــــوئه يســـــري

فنلاحظ في البيت الأول أنه ذكر «بدر – البدر». الأولى ليشير بها إلى حبيبه والثانية ليشير بها إلى القمر عند اكتماله. ملاحظًا اكتمال صورة الحسن والجمال فيهما، ثم كرر كلمة «بدرين» مرتين في البيت الثالث ، ومرة في البيت الرابع دون أن نشعر بأي عطاء فني لها سوى التكرار ، مما جعل الشعر أقرب إلى التقرير والنثرية منه إلى الإيحاء والشاعرية.

---

(100) الديوان ص : 32 وراجع له أيضًا ص 37 : 7 ، 45 : 2 ، 61 : 6 ، 7 ، 82 : 15 – 20.

5 _ التأثر بالثقافة الإسلامية :

ومن أمثلة ذلك تضمين ابن الزيات لمعاني القرآن الكريم في قوله [101] :

ما قال «يا أسفى» يعقوب من كمد إلا الذي لاقى من الأسف

يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ سورة يوسف آية : 84 ، ومن آثار معرفته بالحديث قوله [102] :

قالت لي النفس إذا طا ل عن هواها ركوبك

دع ما يريبك واقصد إلى الذي لا يريبك

يشير إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

6 – التأثر بالفلسفة :

مثلت الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني أحد المكونات الثقافية لابن الزيات ،فلقد كانت اتجاهًا عامًا عند شعراء العصر العباسي،ولقد ترتب على انتشارهما ودراستهما « أن طبع تفكيرهم بالطابع العقلي المحض. وتأثر أسلوبهم بهما تأثرًا كبيرًا فظهرت فيه الأقيسة والأدلة المنطقية»[103] ، والمصطلحات الفلسفية.

ومن ذلك استخدام ابن الزيات بعض المصطلحات الفلسفية ، مثل العلة في قوله [104] :

ألم تر أن الشيء للشيء علة تكون له كالنار تقدح بالزند

ومن ذلك أيضا ، الحوار العقلي الذي أجراه ابن الزيات بين القلب والسمع والبصر، جاعلاً من نفسه حكمًا بينهم في محاولة منه لاكتشاف أيهم السبب في الحب ؟ ، فيقوم كل منهم بإيراد الحجج

---

(101) وفيات الأعيان:96/5 وراجع الديوان ص 11 :8،16: 8، 18: 15، 32: 7، 36: 11، 65: 14،69: 2.
(102) الديوان ص : 51 : 9 ، 10.
(103) التيارات الأجنبية في الشعر العربي : د. عثمان موافي : 367.
(104) الديوان ص: 21. وراجع له أيضًا صفحات : 40 : 8 ، 60 ، 61 ، 65 : 17 ، 73 : 4 ، 8705 : 13.

والأدلة التي تدفع التهمة عنه حتى تستقر التهمة على القلب فيحاول التخفيف من حدتها بمزيد من الحجج الطريفة [105].

ثالثا : الأوزان والموسيقى

تطورت أوزان الشعر العربي منذ أواخر القرن الأول الهجري ؛ نتيجة للتطور الحضاري الذي حققه المجتمع العربي آنذاك. فمال الشعراء إلى صياغة شعرهم في قوالب موسيقية خفيفة لتلائم شيوع الغناء كما انصرفوا عن الأوزان الطويلة ، ومالوا إلى مجزوءات البحور الطويلة وإلى البحور القصيرة. وحاولوا النفوذ إلى أوزان جديدة ، كذلك فقد تحرروا من نظام القافية الموحدة في بعض أشعارهم ، فظهرت المزدوجات والرباعيات والمخمسات والمسمطات، بالإضافة إلى اهتمامهم بإحداث موسيقى داخلية عن طريق تساوي العبارات أو عن طريق قواف داخلية[106]،ولقد تأثر ابن الزيات بهذا التطور،وكان لنزعته النثرية ولاطلاعه على الموروث الشعري أثره الواضح أيضًا ، ويمكن القول بأن أهم ملامح التأثر تتحدد فيما يلي :

أولاً : بالنسبة للأوزان : يمكن رصد نسب شيوع البحور الطويلة عند ابن الزيات في الجدول الآتي :

البحر	عدد الأبيات	النسبة المئوية	البحر	عدد الأبيات	النسبة المئوية	البحر	عدد الأبيات	النسبة المئوية
البسيط	166	%13.1	الخفيف	94	%7.4	السريع	34	%2.7
الكامل	164	%12.9	الوافر	92	%7.25	المتقارب	31	%2.4
الطويل	154	%12.1	الرمل	49	%3.9	المديد	12	%0.94
المنسرح	98	%7.7	الرجز	42	%3.3	المتدارك	–	–
المجموع الكلي للأبيات				936	النسبة المئوية لمجموع الأبيات			%73.8

(105) راجع الديوان ص : 10 ، 11 ، وقد عرضنا للقصيدة في حديثنا عن شعر الغزل .

(106) راجع عن تطور الأوزان والتجديد في القوافي : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني : د. محمد مصطفى هدارة : 566 – 582. وحياة الشعر في الكوفة د. يوسف خليف 598 / 603 / 641. والعصر العباسي الأول د. شوقي ضيف : 193 – 200.

ويمكن رصد نسب شيوع البحور القصيرة والمجزوءات في ديوان ابن الزيات في الجدول الآتي :

البحر أو المجزوء	عدد الأبيات	النسبة المئوية	البحر أو المجزوء	عدد الأبيات	النسبة المئوية	البحر أو المجزوء	عدد الأبيات	النسبة المئوية
مجزوء الخفيف	70	%5.4	مجزوء الوافر	39	%3.1	مجزوء المتقارب	–	–
مجزوء الكامل	63	%4.96	مخلع البسيط	21	%1.7	المضارع	–	–
الهزج	58	%4.6	مجزوء الرمل	20	%1.6	المقتضب	–	–
المجتث	52	%4.1	مجزوء الرجز	10	%0.8			
المجموع الكلي للأبيات				333	النسبة المئوية لمجموع الأبيات			%26.2

ومن خلال الجدولين السابقين يتضح الآتي : إن ابن الزيات قد نظم في كل البحور الطويلة عدا بحر المتدارك ،كما أنه لم يوجه عنايته إلى النظم في بحري المقتضب والمضارع ، وقد وزع طاقاته الموسيقية على البحور كافة مما أدى إلى انخفاض النسب العامة لها،وكان احتلال بحور البسيط والكامل والطويل والمنسرح والخفيف والوافر للمراتب الأولى عنده يقترب نسبيا مع نسبة شيوع الأوزان في الشعر العربي ،كما كان انخفاض نسب النظم في بحر المديد عنده يتناسب مع قلة المنظوم فيه في الشعر العربي [107] . وكان لبيئة ابن الزيات المترفة وغلبة الطابع الذاتي على شعره أثرهما الواضح في إقباله على النظم في البحور القصيرة مثل : المجتث والهزج والنظم في المجزوءات،فقد زادت نسبة البحور القصيرة والمجزوءات على ربع إنتاجه الشعري 26.2% ، وهي نسبة كبيرة إذا ما قورنت بغيرها عند الشعراء الآخرين[108].

(107) انظر : موسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس : 98./191/192 /197.

(108) انظر موسيقى الشعر: (ص 193 – 196) ، إذ يذكر د. إبراهيم أنيس أن دواوين زهير (قرابة 900 من الأبيات) ، وجرير (قرابة 5700 من الأبيات) ، والفرزدق (قرابة 7900 من الأبيات) خلت من المجزوءات والبحور

ثانيًا بالنسبة للقوافي : إن أغلب قوافي شعر ابن الزيات من النوع المطلق الذي يكون فيه حروف الروي متحركًا ، بينما تقل القوافي المقيدة التي يكون فيها حرف الروي ساكنًا إلى درجة كبيرة ، إذ بلغت نسبتها في ديوانه 13.7% ، وهي نسبة تقترب من نسبة شيوعها في الشعر العربي [109]. كما يلاحظ على قوافي شعر ابن الزيات أنه استخدم القوافي السهلة التي لا ينفر منها السمع أو تثقل على اللسان .

وفيما يلي جدول يبين نسب استخدام حروف الروي في شعره .

حروف الروي	عدد الأبيات	النسبة المئوية	حروف الروي	عدد الأبيات	النسبة المئوية	حروف الروي	عدد الأبيات	النسبة المئوية
الراء	220	%17.3	الياء	55	%4.3	الحاء	11	%0.9
النون	193	%15.1	الفاء	48	%3.8	الهاء	7	%0.54
الباء	149	%11.7	القاف	31	%2.4	الواو	–	–
الدال	137	%10.8	التاء	28	%2.2	الطاء	–	–
اللام	100	%7.9	الجيم	16	%1.3	الخاء	–	–
الميم	98	%7.7	الألف	14	%1.1	الذال	–	–
الكاف	95	%7.5	الضاد	14	%1.1	الثاء	–	–
العين	70	%5.4	السين	13	%1.02	الظاء	–	–
مجموع الأبيات	1269							

القصيرة ، وبلغت نسبتها في ديوان أبي العتاهية (قرابة 4200 من الأبيات) 17% تقريباً ، وبلغت نسبتها في ديوان أبي نواس (قرابة 3100 من الأبيات) حوالي 2%، وبلغت نسبتها في ديوان البحتري (قرابة 12000 من الأبيات) حوالي 2%.

(109) يذكر د. إبراهيم أنيس أن نسبة القوافي المقيدة في الشعر العربي لا يكاد يجاوز 10% ، انظر :موسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس : 260 ، وراجع المرجع نفسه : 257.

ومن هذا الجدول يتضح الآتي :

إن هناك حروفًا يكثر مجيئها رويا في شعر ابن الزيات مثل : الراء والنون والباء والدال واللام والميم ، وإن هناك حروفا لم ينظم عليها مثل :الثاء والخاء والذال والطاء والظاء والواو ،وإن ما يتمتع به ابن الزيات من دقة الحس اللغوي ، ومن براعة في اختيار الكلمات العذبة السهلة ، البعيدة عن الغريب الحوشي –كان وراء توزيع القوافي بالنسب السابقة بما يتناسب تقريبًا مع نسب شيوع حروف الروي في الشعر العربي[110] ، وما يتناسب مع فصاحة الكلام وضرورة تجنب الحروف التي يمجها السمع لعدم كثرة الاستعمال. ولذا يقول ابن الأثير : «واعلم أنه يجب على الناظم والناثر أن يتجنبا ما يضيق به مجال الكلام في بعض الحروف : كالثاء والذال والخاء والشين والصاد والطاء والظاء والغين ، فإن في الحروف الباقية مندوحة عن استعمال ما لا يحسن من هذه الأحرف المشار إليها .. والناظم لا يعاب إذا لم ينظم هذه الأحرف في شعره ، بل يعاب إذا نظمها وجاءت كريهة مستبشعة»[111]،كما لم ينظم ابن الزيات في البحور المستحدثة مثل المتدارك والمقتضب والمضارع ، فإنه التزامً بالقافية الموحدة. ولم يتجه إلى نظم المزدوجات والرباعيات والمخمسات والمسمطات برغم حياته المترفة ، وبرغم ما لمسه من التطور الحضاري،ولعله في ذلك كان أكثر التصاقًا بالموروث الشعري منه بالواقع الحضاري.

إن عيوب القوافي كالإقواء والإبطاء لا تكاد تظهر بصورة واضحة في شعر ابن الزيات ، وبرغم وجود ظاهرة التضمين ، إلا أنه في معظمه من النوع غير المعيب ، وهو الذي تكون فيه «اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة عن القافية»[112] ، والذي قد تحول فيه بين بيتي التضمين أبيات كثيرة »[113]. ولاشك أن هذين النوعين من التضمين أقل عيبًا – في نظر القدماء – وإن كان التضمين عمومًا يقوم بدور أساسي في توفير الوحدة الموضوعية ، وما قد يترتب عليها من الوحدة العضوية مما يزيد من القيمة الفنية للشعر.

---

(110) يراجع البيان والتبيين : 22/1 ، وموسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس : 248.
(111) المثل السائر : 178/1 – 179.
(112) العمدة 171/1.
(113) المصدر نفسه 172/1.

ثالثًا : بالنسبة للموسيقى الداخلية :عُني ابن الزيات بالموسيقى الداخلية لأشعاره بما يحقق كثيرًا من الإيحاءات النفسية ، ويساعد في رسم الصورة الفنية مستعينا في ذلك بعدة وسائل أهمها :

1) حركات المد القصيرة والطويلة : ومن ذلك قوله [114] :

يا طـــول ســـاعات ليـــل العاشـــق الـــدنف وطـــــول رعيتـــــه للـــــنجم في الـــــدف

مـــاذا تـــواري ثيـــابي مـــن أخـــي حُـــرق كأنمـــا الجســـم منـــه دقـــة الألـــف

مـــا قـــال يا أســـفى يعقـــوب مـــن كمـــد إلا لطـــول الـــذي لاقـــى مـــن الأســـف

مـــن ســـره أن يـــرى ميـــت الهـــوى دنفـــا فليســـــتدل علـــــى الـــــزيات وليقـــــف

فالشاعر هنا واقع تحت سيطرة جو من الحزن القاتم والذهول،ولذا نجده يأتي بحركات المد الطويلة في كلمات : (يا – طول – ساعات – العاشق – طول – ماذا – توارى – ثيابي – أخي – كأنما – ما – قال – يا أسفا – إلا – لطول – لاقى – الهوى – دنفا – الزيات) لتوحد بين التناغم الموسيقي والعاطفة المسيطرة عليه،بما توحيه هذه المدات من تصوير لشدة الحزن الذي يتناسب وحالة الذهول التي أصابت الشاعر نتيجة فراق حبيبته ،كما نجد في الأبيات انتشار حركة المد القصيرة (الكسرة) التي تتلاءم مع حركة كسر حرف الروي،فنجد الكسر في كلمات (ساعات – ليل – العاشق – الدنف – للنجم – السدف – حرق – الألف – كمد – لطول – الأسف – الزيات – ليقف) ،كما نلاحظ تكرار كلمة «طول» في الأبيات ثلاث مرات لتعكس حدة المعاناة النفسية. كما تكررت بعض الكلمات التي تشي بقتامة الحزن المسيطر على كسير القلب حزين الفؤاد مثل كلمتي:(ليل – السدف) بما فيهما من ظلمة ووحشة،ومثل تعبيرات : (أخي حرق – دقة الأنف – كمد – الأسف – ميت الهوى – دنف) .

2) التكـرار : ويتنوع التكرار بين تكرار حرف معين وتكرار كلمة أو تكرار تعبير أو صيغة معينة.

---

(114) تاريخ بغداد 2/ 343. وراجع وفيات الأعيان 96/5 . ولم ترد بالديوان. ذكر الخطيب البغدادي أن ابن الزيات كان يعشق جارية من جواري القيان فبيعت إلى رجل من أهل خراسان فأخرجها ، فذهل حتى غشي عليه ، ثم أنشأ يقول (الأبيات السابقة)

ومن أمثلة ذلك قول ابن الزيات[115] :

هـــي الســـبيل فمـــن يـــوم إلى يـــوم كأنـــه مـــا تُريـــك العـــين في النـــوم

لا تعجلـــــن رويـــــدًا إنهـــــا دول دنيـــا تنقـــل مـــن قـــوم إلى قـــوم

إن المنـــــايا وإن أصـــــبحت في شـــــغل تحـــوم حولـــك حومًـــا أيمـــا حـــوم

فالشاعر يريد التعبير عن عدم ديمومة الدنيا،وتبدل أحوالها،وتربص المنايا بالإنسان،وقد ساعد التكرار على إضفاء جو الموسيقى الموحية بهذا المعنى،سواء أكان التكرار عن طريق الكلمات أم الحروف، فمن تكرار الكلمات نجده يكرر كلمة «يوم» في البيت الأول مرتين،وهذه الكلمة تتناغم موسيقيًا مع كلمة «نوم» في القافية فهما على وزن واحد،وتتناغم أيضًا مع كلمة «قوم» التي تكررت مرتين أيضًا في البيت الثاني،وتتناغم أيضًا مع كلمة «تحوم» في البيت الثالث والتي تكررت مادتها في هذا البيت(تحوم – حوما – حوم) لتشي بسيطرة المنايا وقدرتها على الوصول إلى الإنسان،كما تكررت عدة حروف خلال الأبيات لتنشر جوًا من الموسيقى إذ يتكرر حرف الميم وهو حرف الروي في البيت الأول خمس مرات وفي البيت الثاني ثلاث مرات ليعود فيتكرر في البيت الثالث خمس مرات،كما أن هناك حروفًا أخرى تكررت في الأبيات غير حرف الروي مثل:حرف النون الذي يتكرر في البيت الأول أربع مرات بالإضافة إلى التنوين في كلمة «يوم» ويتكرر في البيت الثاني أربع مرات بالإضافة إلى التنوين في كلمات «رويدًا – دول – قوم» ويتكرر في البيت الثالث ثلاث مرات بالإضافة إلى التنوين في كلمتي «شغل – حوما»،ويتكرر حرف الواو في البيت الأول ثلاث مرات بالإضافة إلى الواو في هاء «كأنه» وتكرر في البيت الثاني أربع مرات،وفي البيت الثالث خمس مرات،كما تكرر حرف الياء في البيت الأول سبع مرات،وفي البيت الثاني مرتين وفي البيت الثالث مرتين،وتكرر حرف الحاء في البيت الثالث فقط خمس مرات،كما تكرر حرف الدال في البيت الثاني فقط ثلاث مرات،ومن ثم يمكن القول بأن التكرار يشيع جوًا موسيقيًا لا يقتصر على نغمات الوزن الخارجي ، وإنما يعتمد على التناغم الداخلي بين الكلمات.

---

(115) بهجة المجالس : 293/2. وورد الأول والثاني فقط بالديوان ص 66 وفي البيت الأول هو السبيل. وانظر العقد الفريد: 164/2،ومروج الذهب : 288/4 ،ووفيات الأعيان : 100/5. والوافي بالوفيات : 33/4 .

3 – رد أعجاز الكلام على ما تقدمها : ويمكن القول بأن هذه الوسيلة هي نوع من تكرار مادة الكلمة سواء أكان هذا التكرار عن طريق الكلمة نفسها أم عن طريق الجناس أم عن طريق الاشتقاق ، بحيث تصبح إحدى الكلمتين في عجز البيت وتصبح الكلمة الأخرى فيما يتقدمها من أجزاء البيت. ولا شك أن تكرار مادة الكلمة في بيت واحد ينشر جوًا موسيقيًا عبر البيت كله. ومن ذلك قوله [116] :

فإن سرت بالجثمان عنكم فإنني أخلف قلبي عندكم وأسير

فكونوا عليه متفقين فإنه رهين لديكم في الهوى وأسبر

يعبر الشاعر في البيتين السابقين عن تضرعه إلى حبيبته لتشفق عليه وترق لقلبه ، ويتوسل إلى ذلك بأنه وإن كان بعيدًا عنها جسديًا إلا أن قلبه رهين وأسير لديها.ولقد أدت الموسيقى الناتجة عن رد أعجاز الكلام على ما تقدمها دورًا في تصوير جانب من تضرعه. ففي البيت الأول نلاحظ الموسيقى في «سرت» في أول البيت مع «أسير» في عجز البيت الثاني «فالكلمتان تتفقان في المبنى وتختلفان في المعنى ، ومن ثم تتكامل نغمات مادة السير في نشر الجو الموسيقي عبر كلمات «سرت – أسير – – أسير» كما تتضافر الكلمتان «رهين – أسير» مع اتحاد الصيغة واقتراب المعنى لتنشر حركة المد الطويلة فيهما جوًا من الموسيقى المعبرة عن الأسر والامتلاك. كما ينشر حرف النون أناته الحزينة التي تتلاءم مع التضرع والتوسل والمعاناة – عبر البيتين فنجده يتكرر في البيت الأول ست مرات وفي البيت الثاني أربع مرات.

4 – التصريع : بالإضافة إلى الوسائل السابقة فقد اهتم ابن الزيات بالتصريع ، وبرغم كثرة المقطوعات في أشعاره إلا أنه كان يحرص على التصريع في أغلب مطالع بما يوفر لها نغمًا موسيقيًا مضافًا إلى وسائل الموسيقى الأخرى ، وتبلغ نسبة التصريع في ديوان ابن الزيات 37% تقريبًا ،ولاشك أن حرص ابن الزيات على التصريع يشي بتأثره بالموروث الشعري الذي كان أصحابه يحرصون في أكثره على التصريع[117] ، كما يشي ببراعته اللغوية وقدرته الشعرية [118] .

---

(116) النجوم الزاهرة 272/2 ، ولم يرد البيتان بالديوان.

(117) يجدر بالإشارة إلى أن نسبة التصريع في المعلقات السبع تبلغ 100% ، وفي المفضليات 47.7% ، وفي الأصمعيات 31.5%.

(118) انظر : نقد الشعر لقدامة بن جعفر : 51 ، والعمدة : 174/1، و المثل السائر لابن الأثير: 242/1.

رابعا : الصورة الفنية

إن الصورة الفنية «أداة الخيال ووسيلته ومادته الهامة التي يمارس بها ، ومن خلالها فاعليته ونشاطه»[119]. ولأن من طبيعة الخيال أنه «يذيب ويلاشي ويحطم لكي يخلق من جديد»[120] ، فإن الصور – مهما بلغت درجة جمالها – يجب أن لا تكون تقريرًا لواقع خارجي لا يشي بأي انفعال داخلي للشاعر تجاه هذا الواقع [121]. فالشاعر لا ينقل مظاهر العالم الخارجي كما هي ، ولكن يعيد تشكيلها تبعًا لرؤيته الذاتية .

ومن خلال دراسة شعر ابن الزيات يمكن تقسيم الصور الفني عندهم إلى نوعين :

أولاً : الصور التقريرية :

ونقصد بها تلك الصور التي تفقد هيمنة العاطفة المسيطرة على أجزائها ، فتبدو صورها منفصلة لا ترابط بينها ، وتصبح « مقصودة لذاتها ، مهمتها عقد العلاقة الشكلية والجزئية بين المشبه والمشبه به ، وتقف إثارتها عند أوجه الشبه ، ويقف مدلول كلماتها عند المعنى الحرفي لها. ولا يتجاوز التصريح إلى الإيحاء»[122] ، وقد تكون تلك الصور جميلة في حد ذاتها ، ولكنها تفقد القدرة على النمو والتواصل لبناء عمل كلي ينبض بالحيوية وتسيطر عليه العاطفة ، ومن ثم تفقد القدرة الإيحائية ، وتبقى في حيز التقرير والعقلانية.

ويظهر هذا النوع من الصور عندما يميل ابن الزيات إلى استخدام الأسلوب التقليدي في تناول الموضوعات ، وعندما يبتعد عن ذاته ولا يعبر عن حقيقة مشاعره ، مكتفيا بتكرار ما سبق إليه الشعراء ، واقفا بأوصافه عند المظهر الخارجي دون تعمق إلى الداخل للكشف عن المكنون النفسي.

---

(119) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي د. جابر عصفور : 14.

(120) كولردج د. مصطفى بدوي : 156.

(121) انظر المرجع نفسه : 90 . وراجع صفحات 69/ 70 وراجع أيضًا الصورة الفنية د. جابر عصفور: 13، 14، 340، 341.

(122) قضايا النقد الأدبي د. محمد زكي العشماوي : 108 ، 109 وراجع 202 – 204 من المرجع نفسه ، وراجع أيضًا دراسات في الشعر والمسرح د. مصطفى بدوي : 26 ، 27.

ومن ذلك أيضًا قوله [123] :

ومـــــــن العـــــــين طرفـــــــه ومـــــــن الظـــــــبي ظرفـــــــه

ومـــــن الغصـــــن حـــــين أقـــــ ـــــــبل يهتـــــــز نصـــــــفه

ومـــــــــن الرمـــــــــل إذ تأو (م) د في المشـــــــــــي ردفـــــــــه

ومـــــن الـــــبرق حـــــين أطـــــ ـــــــلع كالبـــــــدر خطفـــــــه

فالشاعر هنا يقف عند المظهر الخارجي فيجمع صور البقر الوحشي والظباء والغصن وكثيب الرمل والبرق والبدر ليوجد بينها وبين صورة حبيبه علاقة سطحية تكتفي بتقرير حقيقة أو تكتفي بتكرار أوصاف كثر تداولها بين الشعراء.

ثانيًا : الصور الإيحائية :

وهي الصور التي «لا تقف عند مجرد التشابه بين مرئيات أو مسموعات أو عند المشاكلة في الهيئة أو الحجم أو اللون ، وإنما تتجاوز هذا فتربط هذا التشابه بالشعور العام السائد والمسيطر على الشاعر ، وتصبح كل صورة من هذه الصور بمثابة الخلية الحية النامية التي تؤلف مع غيرها من الخلايا الحية كُلاً عضويًا »[124] ، ويكثر هذا النوع في شعر ابن الزيات عندما يعبر عن مشاعره الذاتية بعيدًا عن الزيف والتقليد ، ومن ذلك قوله في رثاء أم ولده[125] :

ألا من رأى الطفل المفارق أمه بُعيد الكرى عيناه تنسكبان

---

(123) الديوان ص : 87.

(124) انظر قضايا النقد الأدبي د. محمد زكي العشماوي : 109 وراجع النقد الأدبي الحديث د. غنيمي هلال 419/ 420، دراسات في الشعر والمسرح د. مصطفى بدوي : 27/ 28 والصورة والبناء الشعري د. محمد حسن عبدالله : 32/ 33/ 37 ، وراجع كولردج د. مصطفى بدوي : النص السادس : ص 168.

(125) العمدة : 156/2 ونهاية الأدب 218/5. ووردت الأبيات باختلاف يسير في وفيات الأعيان 97/5 ، ووردت بالديوان ص 67 وفي البيت الأول تنسكبان بدلاً من تبتدران. وفي البيت الثالث تجنه بدلاً من تحثه ، وقد عرضنا لها في حديثنا عن فن الرثاء عند الشاعر .

أهم وسائل رسم الصورة الفنية عند ابن الزيات :

1 – اللغـة : ونقصد بها تلك الصور التي لا تدخلها الصور البيانية كوسيلة من وسائل التصوير ، وإنما يُكتفي بكلمات اللغة لتعبر عما يريد الأديب في صور فنية نابضة بالحركة والحياة ، ولاشك أن ميل ابن الزيات إلى استخدام اللغة في رسم بعض صوره يرجع إلى بيئته الكتابية التي دفعته إلى التثقف بالثقافة العربية واللغوية بالذات ، فوقف على أسرار اللغة وإيحاءاتها المعبرة ، وقد يرجع أيضًا إلى تأثره بالنزعة النثرية التي تؤثر التعبير بالكلمات على الجنوح إلى الاستعارات والتشبيهات . ومن الصور المعبرة التي تعتمد على اللغة وسيلة من وسائل التصوير قول ابن الزيات :

كتبـــــت علـــــى فـــــص لخاتمهـــــا	مـــــن مـــــل مـــــن أحبابـــــه رقـــــدا
فكتبـــــــت في فـــــــص ليبلغهـــــــا	مـــــن نام لم يشـــــعر بـــــذي ســـــهدا
فمحتـــــــه واكتتبـــــــت ليبلغـــــــني	مـــــا نام مـــــن يهـــــوى ولا هجـــــدا
فمحوتـــــــــــه ثم اكتتبـــــــــــت أنا	والله أول ميـــــــــــت كمـــــــــــدا
قالـــــــت يعارضـــــــني بخاتمـــــــه	والله لا كلمتـــــــــــه أبـــــــــــدا

يشعر من يقرأ هذه الأبيات بحركة الأسلوب بين الشد والجذب بين الشاعر وصاحبته. وتتوالى حروف العطف لتشي بتلك المجاذبات ، كما نجد الأفعال تتحرك بسرعة في حركة تصاعدية لتصل إلى نهاية القصة (كتبت – فكتبت – فمحته واكتتبت – فمحتوه ثم اكتتبت» فنجد الفاء العاطفة تتكرر بما توحيه من سرعة التوالي والتعاقب لتزيد من حدة الصراع في القصة ، ثم يمهد الشاعر للنهاية باستعماله حرف العطف «ثم» في البيت الرابع ليشي بشيء من التأمل الذي يؤدي إلى النهاية التي تشي بالتدلل أكثر مما تشي بالقطيعة النهائية ، وفي هذه الأبيات يعتبر الشطر الأول من كل بيت بمثابة المحور الذي تدور حوله الأبيات ، فهو كالمقدمة التي يعقبها النتيجة أو الإجمال الذي يعقبه التفصيل ، إذ تبدأ القصة بحكاية ما كتبه على خاتمها ، وهو يحمل في مضمونه اتهامًا للمحب بالسلو عنها ، والملل منها ، ويتمثل ذلك في النوم الذي ينعم به في حين أن النوم يجافي العشاق. فيقوم الشاعر برد التهمة إليها ، فهي لا تشعر بسهده وعذابه لأنها لا تعاني مثله من الأرق والسهر. ولكنها لا تلبث أن تنفي ذلك مؤكدة قيامها على عهدها

وهواها. فإذا ما تبين للمحب ذلك ، فإنه يتأنى في الرد موقظًا شعور الحب في نفسه ، فيقسم أنه يكاد يموت من شدة لوعته وكمده ، ولكن صاحبته تتدلل فتقسم بأنها لن تكلمه لأنه يعارضها بحججه ، ولو نظرنا إلى الشطر الثاني من البيت الأول ، وإلى الشطر الثاني من البيت الثاني لوجدناهما يقومان على الشرط ليفيد عموم القول «من مل – رقدا» «ومن نام لم يشعر» ثم ينفرد الشطر الثاني من البيت الثالث بالنفي «ما نام من يهوى» ليشي بالقرب من نهاية القصة إذ يتعادل طرفا المحاجة. ثم يتوالى القسم في البيتين الأخيرين «أنا والله أول ميت كمدا» و «الله لا كلمته أبدا» ، ويفترق القسمان في المعنى ، ففي القسم الأول يظهر الحرص على بيان حالة المحب ، وفي الثاني لا يظهر الحرص على القطيعة كما يشي ظاهر القسم ، ولكنه حرص من نوع آخر ، إنه حرص على التدلل لزيادة مكانتها في قلبه.

لقد استطاع الشاعر أن يرسم تلك الصورة النابضة بالحركة والحيوية عن طريق اللغة فقط ، ولم يستخدم أي نوع من الاستعارات أو التشبيهات مما يشي بقدرته التصويرية ، وإدراكه لقيمها الإيحائية.

2 – الاستعارة : يعد استخدام ابن الزيات للاستعارة وسيلة من وسائل تشكيل الصورة امتدادا طبيعيًا لمعرفته بأسرار التعبير اللغوي ، ولحساسيته المرهفة في رسم الصور المعبرة باللغة وحدها ؛ فالاستعارة في حقيقتها تطويع لقوالب اللغة للاستعمال المجازي بواسطة إسناد بعض الكلمات إلى بعضها دون حاجة إلى الاستعانة بوسائل تقريبية كما يحدث في التشبيه ، فالشاعر لا يجمع بين الأشياء المختلفة ليحدث بينها ائتلافًا تقريبيًا بواسطة أداة التشبيه ، ولكنه يكون في حالة أقرب ما يكون فيها إلى رؤيتها وقد امتزجت وتوحدت وانصهرت عناصرها فتبادلت صفاتها ومواقعها لتشي بتعبير فني جديد نابض بوجدان الشاعر [126] .

ومن خلال هذا الفهم استخدم ابن الزيات الاستعارة وسيلة من وسائل تشكيل الصورة ، ومن الصور التي تقوم على الاستعارة ، قوله وقد جعل للهو عينًا تسخن من شدة البكاء عندما يغيب الحبيب[127]:

---

(126) انظر : الصورة والبناء الشعري د. محمد حسن عبد الله : 159 ، و الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي د. جابر عصفور : 224/ 247 .

(127) الديوان ص 9 : 9.

هــوى تحســن اللــذات عنــد حضــوره وتســخن عــين اللهــو حــين يغيــب

وقوله وقد جعل للضلال عينًا يفقؤها الممدوح[128] :

هــو الــذي فُقئــت عــين الضــلال بــه لمــا تفــاقم أمــر النــاس وانتشــرا

وقوله وقد جعل للتوهم عينًا يلاحظ بها حبيبه إذا غاب[129] :

بــنفس إنســان إذا غــاب لم أزل ألاحــظ عينيــه بعــين التــوهم

وقوله وقد جعل للهو كفًا تعصر قلبه وتدميه بظفرها حتى إذا تضرع فإنها تقشره. كما جعل للعذر كأسًا يسكر شرابها[130] :

إن الفــؤاد عليــه كــف هــوى لحبــك تعصــره

يدميــه منهــا ظفرهــا وإذا تضــرع تقشــره

ويطــرف عينــك ســاحر ففتــور عينــك ســحره

ولكــأس عــذرك شــربة فيهــا تصــول فتســكره

3– التشبيه : استخدم ابن الزيات التشبيه وسيلة من وسائل رسم الصورة الفنية بدرجة أقل من استخدامه للاستعارة ، والتشبيه يقوم على تقريب وإحداث الائتلاف بين الأشياء ، ولكن تظل فيه الأشياء منفصلة غير متوحدة ، بعكس الحال في الاستعارة [131]. وقد تنوع استخدام ابن الزيات للتشبيه بين التقرير الذي يكتفي برصد علاقات المشابهة الخارجية بين الأشياء. وبين الإيحاء الذي يكشف جانبًا نفسيًا من خلال العلاقة بين طرفي التشبيه.

---

(128) الديوان ص 36 : 4.
(129) المصدر السابق ص 65 : 17.
(130) المصدر السابق ص : 82. وراجع أمثلة أخرى بالديوان صفحات 9 : 11 ، 32 : 13 ، 36 : 10 ، 39 : 3 ، 40 : 4 ، 44 : 16 ، 46 : 10 ، 47 : 13 ، 60 : 5 ، 62 : 17 ، 63 : 1 – 3 ، 70 : 7 ، 73 : 13 / 75 : 9، 10 ، 81 : 12 – 15 وتاريخ الموصل لأبي زكريا الأزدي : 427 وأخبار أبي تمام : 271.
(131) انظر : الصورة الفنية د. جابر عصفور : 192.

ومن النوع الأول قول ابن الزيات في عقد صلة المشابهة الخارجية بين الليل ولون الطيلسان[132] :

وليـــــل كلـــــون الطيلســـــان ســـــريته علـــى بطـــن خـــود بضـــة المتجـــرد

وأما النوع الثاني الذي يشي بالجانب النفسي مما يعطي الصورة صيغة إيحائية ، فيظهر عند تناول الشاعر للموضوعات الذاتية ، وقد مر بنا نماذج لذلك في عرضا لأغراض شعره .

مصادر الصورة عند ابن الزيات :

تعددت مصادر الصورة عند ابن الزيات ، فقد تكون من ثقافاته الدينية ، أو العربية ، أو من الحياة الاجتماعية ، أو من الحيوان والنبات والجماد ، ويمكن الوقوف على ذلك من خلال ما عرضناه من نماذج شعرية ، كما قد يلتمس مصدرًا لصوره من بيئته الكتابية نفسها ، مثل قول ابن الزيات[133]:

مـــاذا تـــوارى ثيـــابي مـــن أخـــي حُـــرق كأنمـــا الجســـم منـــه دقـــة الألـــف

فهو يستخدم علاقة المشابهة بين نحول جسمه وبين دقة الألف ، وهو حرف يُعرف جيدًا شكله من يكتب.

(132) الديوان : ص : 239 . وأمثلة هذا النوع كثيرة في الشعر التقليدي لابن الزيات .

(133) تاريخ بغداد : 343/2. وفيات الأعيان : 96/5 شذرات الذهب 97/2. وورد في أدب الكتاب : 64 وفيه بقة الألف ولم يرد بالديوان.

الخاتمة

لقد حاولنا في هذا البحث إلقاء بعض الضوء على محمد بن عبد الملك الزيات ت 233 هـ بوصفه شاعرا لا كاتبا ، وقدمنا بين يدي البحث تعريفا عنه ، حاولنا فيه رفع ما ناله من غبن في صفاته الإنسانية ، ثم قسمنا البحث قسمين ، تناول الأول منها الموضوعات الشعرية والموضوعات النثرية التي نقلها من دائرة النثر الفني إلى دائرة الشعر . وأما القسم الثاني ، فقد تناول الخصائص الفنية لشعره .

ولقد تكشف القسم الأول الخاص بموضوعات الشعر عن عدة جوانب أهمها :

أ) إن السمة العامة لشعر ابن الزيات هي غلبة النزعة الذاتية على موضوعات شعره . ولذا كثر نظمه في الموضوعات ذات الصبغة الذاتية ، مثل التغزل ، والرثاء ، والتعبير عن التجارب الشخصية ، وكان لمكانته الاجتماعية ولبيئته المترفة ، الأثر الواضح في نفوره من المديح ، ومن الإفحاش في التغزل الحسي أو التغزل بالمذكر وفي الهجاء ،وفي قلة شعر الزهد واللهو والمجون ووصف الخمر.

ب) كان لثقافة ابن الزيات الأجنبية بالإضافة إلى مكانته الاجتماعية وبيئته المترفة أثر كبير في شيوع روح السخرية والتهكم في هجائه . كما ظهر في الرثاء اتجاهات جديدة مثل رثاء المدن ، ورثاء الحيوان ، ورثاء الزوجة ، وظهرت صور الحضارة والفلسفة في غزله ، كما استطاع توسيع دائرة الشعر العربي بنقل الموضوعات النثرية إليه .

وأما القسم الثاني الخاص بالخصائص الفنية للشعر ، فلقد تكشف عن عدة جوانب أهمها :

أ) إن كثرة المقطوعات – مقارنة بقلة القصائد – هي الطابع العام لشعر ابن الزيات ، وإن المقدمات التقليدية في قصائده قليلة ،وأن أغلب شعره يتميز بالوحدة الموضوعية والوحدة العضوية .

ب) إن لغة الشعر عند ابن الزيات تتميز بالسهولة والوضوح والاقتراب من لغة الحياة اليومية،والبعد عن المحسنات البديعية المتكلفة ،واستخدام لغة القص والحوار والجمل الدعائية ، والتكرار، كما تميزت بظهور أثر الثقافة الإسلامية والفلسفية والكلامية .

جـ) نظم ابن الزيات في كل بحور الشعر العربية عدا بحر المتدارك ، و لم يحظ بحرا المضارع والمقتضب بعنايته ، ومثلت البحور الشعرية القصيرة والمجزوءات ما يزيد على ربع إنتاجه الشعري ، واستخدم القوافي العذبة السهلة ، وعُني بالموسيقى الداخلية لأشعاره باستخدام حركات المد الطويلة والقصيرة والتنوين والتكرار ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، وحرص على التصريع في كثير من مطالع قصائده ومقطوعاته .

د) تنوعت الصورة الفنية في شعر ابن الزيات بين الإيحاء والتقرير ، وذلك تبعًا لغلبة الطابع الذاتي وسيطرة العاطفة ، أو تبعًا للميل إلى الموروث الشعري واستخدام الصور الفنية التي يتداولها الشعراء، واعتمد عدة وسائل لرسم الصور الفنية ، منها اللغة والاستعارة والتشبيه، وكما كان للبيئة المترفة بما فيها من مظاهر حضارية وطبيعية ، وللثقافة الشعرية بما توفره من صور تراثية ، وللبيئة الكتابية بما تضم من أدوات كتابية ، الأثر الواضح أيضًا في إمداده بمصادر تشكيل صوره الفنية .

المصادر والمراجع

1. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، د. محمد مصطفى هدارة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، 1981م.
2. أخبار أبي تمام لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ت 335هـ. تحقيق خليل محمود عساكر وآخرين. نشر المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر – بيروت ب.ت.
3. أدب الكتاب : لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ت 335هـ. نشر محمد بهجت الأثري ، المطبعة السلفية ، 1341هـ.
4. إعتاب الكتاب : لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار ، تحقيق : د.صالح الأشتر. ط أولى. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق : 1961م.
5. الأعلام : لخير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية ، مطبعة كوستاتسوماس ، 1954 – 1959.
6. الأغاني : لأبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين بن محمد القرشي ، ت 356هـ ، تحقيق إبراهيم الإبياري – دار الشعب ، 1969م.
7. أمراء البيان : لمحمد كرد علي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1937م.
8. الأوراق (قسم أخبار الشعراء المحدثين) لأبي بكر الصولي ، عني بنشره ج. هيورث. دن دار الميسرة ، بيروت ، ط2 ، 1979م.
9. بهجة المجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس لأبي محمد يوسف ابن عبدالله بن محمد بن عبدالبر ت 463هـ ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القسم الأول : 1967م ، والقسم الثاني : 1969م.
10. البيان والتبيين : لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت 255هـ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط4 ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، 1975م.
11. تاريخ بغداد : للجاحظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ب.ت.

12. تاريخ الرسل والملوك : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ت 310 هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار المعارف بمصر ، 1976م.
13. تاريخ الموصل : لأبي زكريا يزيد بن إياس بن القاسم الأزدي ، تحقيق د. علي حبيبة ، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1967م.
14. التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، د. عثمان موافي ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، 1973م.
15. الجاحظ حياته وآثاره : د. طه الحاجري ، ط3 ، دار المعارف بمصر ، 1976.
16. جمع الجواهر في الملح والنوادر : لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحضري القيرواني ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية ، 1953م.
17. حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة ، د. يوسف خليف ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1968م.
18. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : لعبدالقادر بن عمر البغدادي ، ت 1093هـ ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1979م.
19. دراسات في الشعر والمسرح : د. محمد مصطفى بدوي ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، 1979م.
20. دول الإسلام : للحافظ شمس الدين الذهبي ، ت 748هـ ، جـ1 ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، محمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1974م.
21. ديوان البحتري : تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، جـ1 ، 1972 ، جـ2 ، 1973م.
22. ديوان خالد الكاتب : تحقيق محمد لقمان الأعظمي ، رسالة ماجستير مخطوطة بجامعة القاهرة ، تحت رقم 516.
23. ديوان محمد بن عبدالملك الزيات : تحقيق د. جميل سعيد ، مطبعة نهضة مصر بالفجالة ، 1949م.

24.ديوان المعاني : لأبي هلال العسكري ، مكتبة المقدسي ، 1352هـ.
25.رسائل سعيد بن حميد وأشعاره : جمع يونس أحمد السامرائي ، مطبعة الإرشاد، بغداد ، 1971م.
26.الرسالة العذراء : لإبراهيم بن المدبر ، تحقيق : د. زكي مبارك ، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1931م.
27.زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحضري القيرواني ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، الطبعة الثانية ، دار إحياء الكتب العربية ، 1970م.
28.الزهرة (النصف الأول من الكتاب) : لأبي بكر محمد بن أبي سليمان الأصفهاني ، نشر : لويس نيكل البوهيمي وإبراهيم طوقان ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1932م.
29.سر الفصاحة : لأبي محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ت 466هـ ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، 1969م.
30.شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي ت 1089هـ ، المكتب التجاري للنشر والتوزيع ، بيروت ، ب.ت.
31.شرح ديوان الحماسة : لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ت 421هـ ، نشر أحمد أمين وعبدالسلام هارون ، القسم الأول ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1967م.
32.شرح مقامات الحريري : لأبي العباس أحمد بن عبدالمؤمن الشريشي ت 619هـ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1979م.
33.الصداقة والصديق : لأبي حيان التوحيدي ، شرح : علي متولي صلاح ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1972 م.
34.الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي : د. جابر عصفور ، دار المعارف بمصر ، 1980م.
35.الصورة والبناء الشعري : د. محمد حسن عبدالله ، دار المعارف بمصر ، 1981م.

36.طبقات الشعراء : لعبد الله بن المعتز ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ،ط2 ، دار المعارف بمصر ، 1968م.
37.العصر العباسي الأول : د. شوقي ضيف ، الطبعة السادسة ، دار المعارف بمصر ، 1976م.
38.العقد الفريد : لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي ت 327هـ ، تحقيق أحمد أمين وآخرين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1949 – 1965م.
39.العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده :لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ت حوالي 463هـ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، ط4 ، 1972م.
40.عيار الشعر : لأبي الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوي ت 322هـ ، تحقيق : د. محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1980م.
41.الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية : لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ، راجعه محمد عوض إبراهيم وعلي الجارم ، ط2 ، مطبعة المعارف بمصر ، 1938م.
42.فن الشعر من كتاب الشفا : لأبي علي الحسين بن عبدالله بن سينا ، ضمن كتاب فن الشعر لأرسطوطاليس ، تحقيق عبدالرحمن بدوي ، دار الثقافة ، بيروت، 1973م.
43.الفهرست : لمحمد بن إسحق النديم ت 385هـ ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، 1978م.
44.في الشعر العباسي : الرؤية والفن ، د. عز الدين إسماعيل ، دار المعارف بمصر ، 1980م.
45.في نظرية الأدب : من قضايا الشعر والنثر في القديم والحديث : د. عثمان موافي ، دار المعرفة الجامعية ، 1984م.
46.في النقد الأدبي : د. شوقي ضيف ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف بمصر ، 1976م.
47.قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث : د. محمد زكي العشماوي ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، 1978م.
48.قطب السرور في أوصاف الخمور : لأبي إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق النديم ت 417هـ تقريبا ، تحقيق : أحمد الجندي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1969م.

49.الكشف عن مساوئ المتنبي للصاحب بن عباد ، ضمن كتاب الإبانة عن سرقات المتنبي للعميدي ، تحقيق إبراهيم الدسوقي البساطي ، دار المعارف بمصر ، ط2 ، 1969م.
50.كولردج : د. محمد مصطفى بدوي ، دار المعارف بمصر ، 1958م.
51.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : لابن الأثير ت 637هـ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1939م.
52.المحاسن والمساوئ : لإبراهيم بن محمد البيهقي ، دار صادر ، بيروت ، 1970م.
53.مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان:لأبي محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي ، ت 768هـ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط2 ، 1970م.
54.مروج الذهب ومعادن الجوهر : لأبي الحسين علي بن الحسين بن علي المسعودي ت 346هـ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط4 ، المكتبة التجارية الكبرى ، 1965م.
55.المزهر في علوم اللغة وأنواعها : لجلال الدين السيوطي ، تحقيق:محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، الجزء الأول ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة.
56.المستجاد من فعلات الأجواد : لأبي علي المحسن بن علي التنوخي ت 384هـ، تحقيق محمد كرد علي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، 1946م.
57.معجم الأدباء : لياقوت الحموي ت 626هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ب.ت.
58.معجم الشعراء : لأبي عبيدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، ت 384هـ ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، 1960م.
59.المنازل والديار : لأسامة بن منقذ ت 584هـ ، تحقيق مصطفى حجازي ، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1968م.
60.المنتحل : لأبي منصور الثعالبي ، نشر أحمد أبو علي ، المطبعة التجارية بالإسكندرية ، 1901م.

61. منهاج البلغاء وسراج الأدباء:لأبي الحسن حازم القرطاجني ت 684هـ ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس : 1966م.
62. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، ت 370هـ ، تحقيق السيد أحمد صقر ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، 1972م.
63. موسيقى الشعر : د. إبراهيم أنيس ، الطبعة الخامسة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1981م.
64. الموشى أو الظرف والظرفاء ، لأبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء ت 325هـ ، تحقيق : كمال مصطفى ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي ، 1953م.
65. نثار الأزهار في الليل والنهار : لجمال الدين محمد بن جلال الدين الإغريقي الملقب بابن منظور صاحب لسان العرب ، الطبعة الأولى ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ، 1298هـ.
66. نثر النظم وحل العقد أو رسائل الثعالبي : لأبي منصور الثعالبي ، تقديم علي الخاقاني ، نشر دار البيان ببغداد ، ودار صعب ببيروت ، 1972م.
67. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت 874هـ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطبع والنشر ، 1929 – 1956م.
68. نزهة الألباء في طبقات الأدباء : لأبي البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ت 577 هـ ، تحقيق د. عطية عامر ، الطبعة الثانية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1963م.
69. النقد الأدبي الحديث : د. محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجالة ، القاهرة ، 1979م.
70. نقد الشعر : لأبي الفرج قدامة بن جعفر ت 237 هـ ، تحقيق كمال مصطفى، الطبعة الثالثة ، مكتبة الخانجي ، مصر 1978م.
71. الوافي بالوفيات : لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت 764هـ ، دار النشر فرانزشتا ، يثر بفيسبادن ، 1962 – 1974م.

72. الوساطة الوساطة بين المتنبي وخصومه : للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، 1966م.
73. الوشي المرقوم في حل المنظوم : لضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ت 637 هـ ، مطبعة ثمرات الفنون ، بيروت ، 1298هـ.
74. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن محمد بن أحمد بن بكر بن خلكان ت 681 هـ ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، 1968م.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث :	ص 2
المقدمة :	ص 3
تمهيد :تعريف بابن الزيات :	ص 4
موضوعات شعر ابن الزيات :	ص 9
الموضوعات الشعرية :	ص 10
الموضوعات النثرية :	ص 24
الخصائص الفنية لشعر ابن الزيات :	ص 28
البناء الفني للقصيدة :	ص 28
اللغة والأسلوب :	ص 37
الأوزان والموسيقي :	ص 43
الصورة الفنية :	ص 50
الخاتمة :	ص 56
المصادر والمراجع :	ص 58
فهرس الموضوعات :	ص 65